

ما بين الإرشاد الفلسفي والنفسي صراع أم تعاون؟

أ.د. رياض العاسمي

أستاذ علم النفس والإرشاد النفسي

كلية التربية - جامعة دمشق

reyadalaasemy@gmail.com



ما بين الإرشاد الفلسفي والنفسي صراع أم تعاون؟

أ.د. رياض العاسمي

Abstract

Elites' Approach between the philosophical and psychological Counseling ,Conflict or cooperation?

Philosophical Counselling or also Therapeutic Philosophy is a 'new' field in philosophy that sprang up from the branch of philosophy known as applied philosophy or practical philosophy. Practical or applied philosophy involves the application of special areas of knowledge in philosophy into other or new fields of human endeavor. Philosophical counseling is a therapy that is offered from the philosophical perspective as an alternative solution to some of the problems besieging human life, when they become other psychological and medical treatments are inadequate. The current research sheds light on the concept of the philosophical counseling, and the goal of it, and the history of its development, as an attempt to establish a strong argument to be used under Applied practices along with other counseling curriculum as a form of psychological counseling or treatment. Also, Also open for joint cooperation between the philosophical and psychological practices.

مقدمة:

إن فكرة الذهاب إلى الفيلسوف لتقديم الإرشاد بشأن أحداث الحياة الضاغطة التي يعاني منها بعض الناس تبدو غير مقبولة لكثير من الأفراد في النصف الأول من القرن العشرين، على اعتبار أن دور الفلاسفة ينحصر في التحليل اللغوي للأفكار والقضايا الأخلاقية، وليس له دور علاجي أو إرشادي، مثل بقية الأساليب النفسية التي تقدم خدماتها للأفراد الذين يعانون من مشكلات نفسية أو عقلية.

وهنا، يُطرح سؤال من طرف بعض الفلاسفة، مفاده: كيف يمكن للفلسفة أن تساعدنا على نيل حياة كريمة، وتحقيق السعادة والرفاه الشخصي والنفسي؟ وهناك العديد من الدراسات المعاصرة ذات الصلة تحاول استخدام الفلسفة، ونذكر على وجه الخصوص الفلسفة العملية في الممارسة الإرشادية التي تعمل على الحدّ من مآسي الإنسان المعقدة. وكان الفلاسفة القدماء والباحثون المعاصرون قد أشادوا بدور الفلسفة كإرشاد أو علاج، ويعود الفضل في النظرة العميقة للطرائق المختلفة للإرشاد والعلاج النفسي إلى النظريات والأفكار الفلسفية، لكن هذه العلاقة التكافلية Symbiotic relationship قد لا تروق لكثير من علماء النفس بممارسة الإرشاد الفلسفي جنباً إلى جنب مع الإرشاد والعلاج النفسي لحل مشكلات البشر.

وقد توصف الممارسة الفلسفية أو الإرشاد الفلسفي Philosophical Counseling (PC) كمجموعة من الطرق لعلاج المشكلات والضغوطات اليومية لدى البشر باستخدام الأساليب الفلسفية. وهناك ثلاثة مبادئ ذات صلة حيوية بوجود الممارسة الفلسفية، ويبدو أنها معقدة على نطاق واسع من طرف المرشد الفلسفي. فالإرشاد الفلسفي هو شكل مبتكر من الإرشاد يستخدم المهارات الفلسفية والأفكار لمساعدة الناس على التفكير في حياتهم. بواسطة تطبيق عدد كبير من هذه المهارات في مواجهة مشكلات المستنصح، بصفته مرشداً وناصحاً له. ومن المثير للدهشة - إلى حد ما - أن الفلاسفة وعلماء النفس لديهم أكثر من تاريخ مميز من التعاون. فقد لاحظ علماء النفس الأهمية المركزية للفلسفة في الممارسة المهنية الخاصة بهم، والاعتماد على الفلسفة كمصدر لفهم مشكلات مرضاهم. وللأسف، لم يكن هذا هو الحال، فالمعالجون النفسيون على العموم قد أهملوا دراسة الفلسفة واعتبروها غير ذات صلة باختصاصهم، وتحول مجال علم النفس والعلاج النفسي إلى التخصصات المرجعية النظرية الخاصة بهم، والسبب في ذلك يعود إلى ارتفاع مستوى التجريد لكثير من الفلاسفة، وشكلاً من أشكال النقاش الجدلي، إذ شجعوا الأفراد على السعي إلى توضيح

معتقداتهم حول العالم من أجل الوصول إلى فهم أفضل لصراعاتهم، وأهداف وجودهم (Nussbaum 1994).

وهنا يتبادر إلى الذهن التساؤل الآتي: هل هناك إرشاد أو علاج يمكن أن تُقدمه الفلسفة للإنسان في ظل المشكلات المعقدة التي يعاني منها على المستوى الصحي، والنفسي، والاجتماعي، والأخلاقي؟ وهل الفلسفة العملية أو البراجماتية يمكن أن تُسهم، إلى جانب تخصصات الصحة النفسية المختلفة، في الحد من المشكلات الوجودية التي أرهقت كاهل الإنسان في هذا العصر؟ يرى "النشار" (2010،35) في هذا، أن الفلسفة هي أصل كل العلوم التي ازدهرت في عصرنا للكشف عن أي جديد، وهي الأداة الضرورية للإبداع والإقناع. كما أن الإرشاد الفلسفي قديم قدم الفلسفة نفسها، إذ لم تنشأ إلا من خلال الإجابة عن تساؤلات جوهرية أرقت الإنسان وأرهقت عقله، مثل البحث عن الوجود الذي يعيش فيه وعن أصله ومصيره. لقد كانت تلك التساؤلات مثيرة لقلق الإنسان، ولم يتم الوصول إلى إجابات دقيقة عنها إلا عن طريق الفلاسفة الذين نجحوا من خلال تأملاتهم وعقولهم للوصول إلى إدراك الكثير من الحقائق حول هذا الوجود، وحول ماهية الإنسان وما يعانيه من مشكلات.

ونتيجة لما تقدم، فقدت الفلسفة - إلى حد كبير - مهمتها الخاصة في فهم واقع حياة البشر وتوضيحه، كما باتت العلوم تبتعد عن أهدافها السابقة بشكل متزايد، ويتضح ذلك في المنطق الوضعي. ومع ذلك، كان هناك ارتباط واضح بالفلسفة التي تهتم بقضايا الإنسان، وهي الفلسفة الأخلاقية. وهناك عدد من الفلاسفة، أمثال: كانط، وروسو، وسبينوزا، وهيوم، وهيجل... الخ قدموا إسهامات مهمة في هذا المجال، وكتابتهم يجب أن تكون مرجعاً لتدريب المرشدين الفلاسفة والنفسيين. وقد أصبحت مهمة الفلسفة مع دفعة جديدة من الفلاسفة الوجوديين، مثل: كيركيغارد (1844) ونيتشه (1881) هي البحث المباشر عن مسائل الوجود الإنساني الملموسة، حيث لفتوا الانتباه إلى الحياة الشخصية للفرد. وبهذا، يمكن أن تثرى تلك الآراء أساساً متميزاً لهذا النوع من الفلسفة التي من شأنها تعزيز ممارسة الإرشاد النفسي وإثراؤه على المستوى التطبيقي. ومع ظهور هوسرل (1900) وهایدغر (1927)، وسارتر (1939)، ومربونتي (1945) أصبحت الوجودية حركة شعبية، وذات أهمية لعامة البشر. ففي الماضي كان اهتمام الفلاسفة مركزاً على الخيارات الأخلاقية، والأزمات الوجودية، والتحديات المستمرة التي تواجه البشر في حياتهم، لكن الفلسفة أظهرت اليوم القدرة على توفير منتدى للنقاش من حيث إلقاء الضوء على متغيرات بعيدة المدى لزيادة التصالح أو التفاوض مع الإنسان ما بعد الحداثة. لذلك، يمكن التنبؤ بأن الوجودية ينبغي أن تبني نموذجاً

جديداً للإرشاد الفلسفي من خلال استبدال الاعتبارات الطيبة بأخرى للتعامل مع مشكلات الإنسان المعاصر.

مفهوم الإرشاد الفلسفي:

يرى والش (Walsh,1991) أن الفلسفة ليست حب الحكمة كما يشير إليها كثير من المنظرين الفلسفيين، لكنها تعني عيش المرء حياة الحكمة والرفاهية. وفي ضوء ذلك، ركز الفلاسفة الرواقيون والأبيقوريون على وجه الخصوص على استخدام التفكير الفلسفي للتقليل من الاضطرابات الانفعالية، واستعادة الهدوء الانفعالي، وزيادة الشعور بالراحة باعتباره نتيجة طبيعية للحياة الحكيمة التي تستحق أن يسعى إليها المرء لذاتها. والفلاسفة هم أكثر الممارسين المهنيين تأهيلاً، إذ لديهم المصادر الكافية لمساعدة الناس على فهم خبراتهم الشخصية والتوافق النفسي والاجتماعي مع واقعهم ووجودهم في الحياة. والتطبيق العملي للفلسفة هو مهارة أساسية تحتاج إلى تطوير عمل من طرف الممارس الفلسفي (المُرشد أو المعالج) كخبير مدرب يمكن أن يساعد الآخرين على تقييم قيمهم الشخصية ومشاعرهم بطريقة براجماتية، وبالتالي التخفيف من انفعالاتهم السلبية، والسعي إلى تحسين جودة حياتهم.

ويقصد بمصطلح الإرشاد Counseling عموماً "أسلوباً علمياً منظماً قائماً على مجموعة من التقنيات والأساليب العلاجية التي تتبناها بعض النظريات الإرشادية في الممارسة، والتي توفر حلاً للتخفيف من معاناة الإنسان من مشكلاته النفسية والانفعالية والسلوكية التي قد تصيبه في جسده وعقله". كما يعني باللغة اللاتينية المداواة أو "علاج الجراح وتضميدها"، وهي محاولة لعلاج مشكلة صحية أو نفسية، تتم عادة بعد تشخيص حالة الفرد المرضية بالأساليب النفسية المختلفة على المستوى الكمي والكيفي للوصول إلى خطة علاجية مناسبة (العاسمي، 2015، 17).

بينما يُقصد بالإرشاد الفلسفي Philosophic Counseling بأنه تخصص علمي ومجال جديد في الفلسفة، ظهر إلى حيز الوجود عندما قام مجموعة من الفلاسفة بإجراء البحوث الفلسفية على المستوى التطبيقي، والكشف عن أهميتها في مساعدة الناس على حل مشكلاتهم الوجودية. وفي ضوء ذلك، نشأ هذا الجانب من المعرفة الفلسفية على المستوى التطبيقي سريعاً، والذي يُعرّف باسم الفلسفة العملية أو التطبيقية Applied Philosophy الذي ينطوي على تطبيق مجالات خاصة من المعرفة الفلسفية في مجالات أخرى للمساعدة

على حل مشكلات الإنسان، ويسمى في بعض الأحيان "بالممارسة الفلسفية" Philosophical Practice، الفلسفة كإرشاد أو علاج Philosophy as Counseling or Therapy التي بدأت تترعرع منذ عام (1980) على يد "جيرد آخينباخ" Gerd Achinbach. وكثيراً ما قيل إن هذه الحركة متجذرة في التقليد السقراطي Socratic tradition التي يُنظر إليها كفلسفة البحث عن الخير والحياة الطيبة، وأن الحياة بدون الأخلاق ليست جيدة بالاهتمام والعيش حسب رأي سقراط. والفلسفة، هي علاج بالمعنى الأصلي للكلمة؛ فالعلاج يأتي من الكلمة اليونانية "Therapeuein" والتي تعني "الحضور" أو "المساعدة". وفي هذا المعنى، يرى كوهين (Cohen,2013,3) أنه يمكن التأكيد هنا أن الفلسفة يمكن أن تُعدّ شكلاً من أشكال العلاج. وحسب سقراط "الفيلسوف الجيد يساعد على "إخراج" أو "كشف" الحقيقة التي تقع داخل الفرد". وينحصر دوره في إيقاظ قدرة الشخص على التفلسف. لذلك، فالأفكار التي يتم اكتشافها تساعد الشخص على تطوير مواهبه الطبيعية الخاصة وتحركه بوعي نحو أهدافه.

ويرى تايلور (Taylor,2002) أن الإرشاد الفلسفي غالباً ما يعود نسبه إلى سقراط من خلال محاولته التأكيد على قضايا العدالة والمعرفة. وهذا اللون من الإرشادي تمّ تقديمه كحل بديل لبعض المشكلات التي تحاصر الإنسان في حياته اليومية في ظل عدم كفاية العلاجات الأخرى؛ فقد تساعد المعرفة الفلسفية البشر على فهم أنفسهم والعالم المحيط بهم. وهذه المفاهيم، يمكن أن تساعد على توفير الإرشادات اللازمة لحل مشكلات واضطرابات كثيرة يعاني منها البشر والتي ينبغي أن تكون ضمن العلاجات الدوائية والنفسية بالمعنى الدقيق للكلمة.

وغالباً، ما يُعرّف الإرشاد أو العلاج الفلسفي Philosophical Counseling or Therapy، بأنه استخدام وتطبيق مبادئ المعيشة الفلسفية، وأساليب فهم الواقع النهائي لحياة البشر لحل مشكلاتهم وخبراتهم السلبية المؤلمة التي يعانون منها في حياتهم اليومية. ويُعرّف "رابي" (Raabe,2002) الإرشاد الفلسفي بوصفه عملية لمساعدة الشخص الذي يعاني من مشكلة تثير قلقاً لديه. كما أشار إلى أن المستنصح (1) Counselee في كثير من الأحيان- يكون لديه تضارب في القيم قد تؤثر على تفكيره وسلوكه بطريقة مؤلمة جداً. وفي ضوء عملية التفاعل الفلسفي مع الفرد، يتحقق لديه تقدير جيد بقيمته، مما يجعله يرى بعض القضايا الأساسية المتعلقة بحياته بصورة واضحة من خلال: التعرف على المشكلة والانفعالات المصاحبة لها، وتحليل وتقييم الخيارات المتاحة من أجل حلها، ووضع تصور كامل لتطوير وجهة نظر

¹ - يستخدم هذا المصطلح بلغة الإرشاد النفسي بالمستترشد، ونستخدمه هنا -مجازاً- في الإرشاد الفلسفي بالمستنصح.

متكاملة وموضوعية عن المشكلة والحلول الممكنة، وبالتالي التوصل إلى حلول مناسبة لها. وهذه هي بعض الأدوار الرئيسية للإرشاد الفلسفي.

ويصور مارينوف (Marinoff,2003) الإرشاد الفلسفي كعلاج محتمل لكثير من أنواع اضطرابات الشخصية الحديثة كنتيجة خاطئة لمشكلات نفسية. كما يرى أن أنواعاً كثيرة من الشكاوى الانفعالية، هي أعراض لرؤية العالم الفلسفي غير المتوافقة. وفقاً لذلك، ينبغي أن يكون التدخل الفعّال تحت إشراف خبير مهتم بهذه المسائل. ويقول "مارينوف" في هذا الصدد: "يجب على الناس التعرف إلى أنفسهم طبيّاً، لكي يكونوا قادرين على الحفاظ على صحتهم البدنية- بما في ذلك الأداء السليم لعمل دماغهم، وذلك بمراجعة الأطباء النفسيين للتأكد من سلامتهم العقلية. وبالمثل، يجب على الناس التعرف إلى سماتهم النفسية وذلك من أجل المحافظة على رفاهيتهم الانفعالية. أي فهم القوة التي لها تأثير على شخصيتهم، مثل: العادات، والحب، والكره، والطموحات، التنافر المعرفي والوجداني، وهكذا دواليك، وهذا أمر ضروري لنمو الشخصية. وهناك العديد من علماء النفس قد يساعدون الأشخاص للحد من هذه المشكلات. ولكن ماذا يفعل الشخص عندما يكون مستقراً طبيّاً، لكنه يعاني من مشكلات تؤرقه وتضايقه. هنا لا بد من الإرشاد أو العلاج الفلسفي معالجة هذه القضايا الوجودية التي تواجهه في حياته اليومية، لأن الإرشاد الفلسفي هو علاج للعاقل وليس لشخص مريض (Marinoff,2003,11).

بينما يُعرّف روزنر (Rosner,2004) الإرشاد الفلسفي كمصدر للرؤية ضمن منهجيات فلسفية في المجال الإرشادي، بهدف الاقتراب من مشكلات المستنصحين، إذ يستخدم المرشد الفلسفي الطريقة التقليدية في التفكير النقدي في معالجة القضايا ذات الاهتمام الأساسي لحالة المستنصح. وقد أشار "روزنر" إلى أن المشكلات التي تهم الإرشاد الفلسفي تقع خارج اهتمامات كل من الطب النفسي وعلم النفس اللذين يتعاملان مع الاضطرابات النفسية والعقلية وأمراض أخرى عديدة، كالاغتراب الوجودي، وغياب المعنى في الحياة، والقلق الوجودي... الخ. فالعديد من هذه المشكلات هي أبعد عن الإرشاد النفسي التقليدي والطب النفسي، كمشكلات الحياة التي تشكلت عن طريق المفاهيم الخاطئة التي يمكن أن تجلب عدم راحة البال على المدى الطويل، حيث تبدأ عادة بخبرة القلق والأرق، وبالتالي غالباً ما تؤدي إلى أزمة في الحياة. والحاجة لمناقشة مثل هذه القضايا في السياق الفلسفي هي من القضايا المهمة للفلاسفة الذين لديهم فهم أساسي حول حالة الإنسان نفسه.

ووفقاً لـ والش (Walsh,2005) يعني الإرشاد الفلسفي التفاعل مع الفلاسفة الذين تم تدريبهم على الأساليب الفلسفية والملتزمين بأن يكونوا غير متحيزين في أفكارهم، لكنهم قادرون على رؤية ما يحدث وكيف يحدث. إن هذا الأمر يمكن تطبيقه بشكل واضح و متميز لتخفيف معاناة مشكلات البشر. ويشير هذا التعريف إلى حقيقة مفادها أن معرفة الفلسفة وفهمها يمكن استخدامها في حل قضايا الحياة الواقعية للبشر. بينما يرى (Gowans, 2010) أن الإرشاد الفلسفي هو مماثل لتلقي الإرشاد الطبي، لأنه قادر على تعديل معتقدات الشخص بحيث يمكنه من التغلب على المرض العقلي وتحقيق الصحة النفسية، فقد أشارت الفلسفة البوذية والتقاليد الإغريقية إلى وجود نهج مماثل لها، كالنهج الطبي في التعامل مع بعض مشكلات العقل والروح.

ويبدو من هذا، أن تعريف الإرشاد الفلسفي يساعد الناس على فهم أنفسهم وعالمهم الداخلي والخارجي، من خلال رؤية واضحة لمعنى الحياة وقيمتها. وهذه الأساليب والحوارات التي يستخدمها المرشد الفلسفي مع المستنصحين ضمن علاقة قائمة على الاحترام والتقبل والاستقلالية الذاتية لكل منهما، توفر أساساً واضحاً لمواجهة العديد من المشكلات التي تحاصر المستنصحين في حياتهم اليومية، وذلك عندما تكون الأساليب الطبية والنفسية الأخرى غير كافية في حلها. وبناء على ذلك، وضع مارينوف (Marinoff,1999) كتاباً أسماه "أفلاطون وليس بروزاك" "Plato, Not Prozac" لاعتقاده أن مثل هذه المشكلات التي تواجه كثيراً من الناس لا علاقة لها باضطرابات عقلية أو خلل في كيمياء الجسم، والتي يمكن أن تكون تصوراً خاطئاً لمشكلات الحياة. وهذا هو الأساس في دعوته للإرشاد الفلسفي بدلاً من بروزاك، لأن بعض مشكلات الإنسان قد تكون راجعة إلى عدم وجود رؤية فلسفية سليمة، كما يؤكد "روزنر" وجهة نظر "مارينوف" التي يرى فيها أن الإرشاد الفلسفي يمكن اعتباره ثاني أقدم مهنة في العالم. فالمرشد الفلسفي يساعد المستنصحين على التوضيح، والتعبير، والاستكشاف والفهم للجوانب الفلسفية في أنظمة معتقداتهم عن العالم والمشكلات الفلسفية المتعلقة بمسائل، مثل: أزمت منتصف العمر، والتغيرات الوظيفية، والضغوط، والعواطف، وتأكيد الذات، والأمراض الجسدية، والموت، والشيخوخة، ومعنى الحياة، والأخلاق. بمعنى آخر، إنه يتعامل مع الأصحاء وليس مع المرضى، وينظر إلى المستنصح بأنه شخص غير صحي وغير قادر على حل مشكلاته.

ونظراً لكون مفهوم الإرشاد لم يستأثر باهتمام دارسي الفلسفة بحكم أن المفهوم مغيب في الفكر الفلسفي العربي. لذا، فإننا نسعى من خلال هذه المحاولة إلى ملامسة المفهوم

انطلاقاً من التساؤلات الآتية: هل يمكن أن تعد الفلسفة علاجاً أو إرشاداً؟ وما هو الدور الذي يمكن أن يلعبه الفيلسوف المرشد في العملية الإرشادية الفلسفية؟ ويرى ديرك (Dirk,2009) أنه من الصعوبة الإجابة عن هذه الأسئلة ضمن المفهوم النظري للفلسفة، لكن يمكن الإجابة عنها إلى حد ما من خلال الممارسة العملية كطريقة إرشادية أو علاجية. من هذا، يستخلص "ديرك" مجموعة واسعة من المفاهيم كمحاولة لتحديد معنى الإرشاد أو العلاج الفلسفي الذي وضعه ضمن ثلاث مجموعات متداخلة، هي الآتية:

أ - العملية مقابل النظرية:

تعني كلمة "عملي" هنا التدريب العملي، أو الممارسة، أو التدريب الملموس. والتعريف العملي للإرشاد الفلسفي يشمل بالتالي توصيف الممارسة الفعلية للإرشاد الفلسفي. فقد وصف برينس- باكر (Prins-Bakker,1995) ممارسة المهارات الفلسفية في الإرشاد الزوجي على سبيل المثال في ست مهارات، هي:

- 1- يطلب المرشد الفلسفي من الشريكين إعطاء وصف للمشكلة.
- 2- تحليل شخصية واهتمامات الشريكين في ضوء السؤال: "من أنا"؟
- 3- يطلب من الشريكين طرح أسئلة على أنفسهم، مثل ماذا أتوقع من الحياة؟ هل هذا يتفق مع الواقع، وكيف أعيش هذا الواقع؟
- 4- يطلب من الشريكين التفكير في مرحلة من مراحل الحياة الماضية والحالية.
- 5- يطلب من الشريكين، بشكل فردي، طرح السؤال التالي لكل منهما: ماذا يعني أن تكون الحياة الزوجية سعيدة؟

6- يعكس الشريكان السؤال نفسه من أجل الحصول على تصور واضح للزواج السعيد. وتتطلب هذه الإجراءات وفقاً لبريس- باكر عدداً من المهارات لكل من المرشد والمستنصح، من بينها مهارات المشاركة في الحوار، والملاحظة الدقيقة، والتقييم الموضوعي، ووضوح المفاهيم، والدراسة النقدية، والخيال المبدع، والقدرة على التحليل والتركيب.

بينما يصف مارينوف (Marinoff,2000) خمس مراحل بدلاً من ست مراحل للإرشاد الزوجي، إذ يسميها "عملية السلام"، والتي تتضمن: المشكلة، والانفعال، والتحليل، والتأمل، والتوازن. ففي المرحلتين الأولى يتم تحديد المشكلة وردود الفعل الانفعالية التي يتم تعريفها من قبل الشريكين. ويجب أن يتم التعبير عن هذه المشاعر المفيدة. ويرى مارينوف

أن علماء النفس والطب النفسي لم يتقدموا أبداً إلى ما بعد هذه المرحلة. أما في خيارات المرحلة الثالثة فيكون التصدي للمشكلة المذكورة. وفي المرحلة الرابعة يحصل المستنصح على "التصرف الفلسفي" عن طريق استكشاف الإطار الفلسفي مع المرشد من خلاله ما حدث في المراحل الثلاث الأولى التي من شأنها أن تنمي الإحساس لدى المستنصح. ويؤدي هذا إلى المرحلة الخامسة التي تصل بالمستنصح إلى حالة من التوازن والتوافق النفسي. وهذا هو، "فهم جوهر المشكلة التي تتطلب من المرشد الاستعداد لاتخاذ الإجراءات المناسبة" (Marinoff, 2000, 39). وعلى هذا النحو، تنطوي العملية برمتها على مجموعة متنوعة من المهارات، مثل: الاستماع التعاطفي، Empathic listening، والتفكير المنطقي، والتحليل المفاهيمي، والتفكير الإبداعي الناقد، وتوليفة من مجموعة متنوعة من الخصوصيات، ورؤية الأمور في نصابها.

وفي المقابل، يمكن التمييز بين تعريف برينز- باكر (1995) ومارينوف Marinoff للإرشاد الفلسفي من الناحية النظرية. فالتعريف النظرية "تعني هنا أي تعريف للإرشاد الفلسفي يستبعد وصفاً لممارساته الفعلية (<http://www.wikipedia.org>) على سبيل المثال، يوصف الإرشاد الفلسفي بأنه "حركة جديدة نسبياً في الفلسفة تستخدم أساليب التفكير والنقاش الفلسفي في حل مشكلة لشخص ما"، مضيفاً أن يتم اقتراحه كبديل لثقافة الإرشاد النفسي والطبي"، وأنه كثيراً ما ينطوي على إعادة التفكير في القيم والمعتقدات، وأيضاً طريقة لقرار عقلائي للصراعات".

وفقاً لذلك، فالإرشاد الفلسفي يشكل "حواراً مع الفيلسوف الممارس". يجوز له أن يواجه مجموعة من القضايا التاريخية والمعاصرة، تشكل مشكلات "ملموسة" من قبيل العلاقات المضطربة: خبرة المرض، والمعضلات الأخلاقية، ومشاكل الثقة، والأزمات المهنية، والقلق، والاكنتاب، واليأس أو "الأسئلة الأساسية حول معنى الحياة، الله، حرية، والموت". كما يستند هذا الإرشاد على الاعتقاد القديم القائل: "إن مشكلات الشخصية ذات طبيعة فلسفية التي لا يمكن أن تمر عن طريق التشخيص والإرشاد، ولكن مع ذلك هو علاج لبث الحيوية وتمكين الشخص بالتالي- وإن لم يكن بالإمكان الاستغناء عنه- من اكتمال الإرشاد النفسي أو الطب النفسي.

ب - الأحادية مقابل التعددية:

تشير تعريفات الإرشاد الفلسفي الأحادية إلى تحديد شروط عمل فيلسوف معين أو نهج في الفلسفة بقدر ما يتعلق الأمر الأخير بمبدأ لاهاف (Lahav,1995,4) في تفسير وجهة نظره للعالم Principle of Worldview Interpretation النابع من العقل. وفقاً لهذا المبدأ، يشكل العنصر الأكثر أهمية للإرشاد الفلسفي محوراً أساسياً لجميع مناهجه، وهو ما يجعل هذه المناهج تفسر رؤية العالم من ثلاثة أدوار يمكن للمرشد الفلسفي أن يقوم بها في عملية الإرشاد الفلسفي:

(أ) مساعدة المستنصح في التعبير عن وجهة نظره عن العالم والتي تتم عبر معاشته اليومية لأحداث الحياة؛

(ب) مساعدته على الفحص الدقيق لجوانب الإشكالية، كالتناقضات أو الجوانب التي تضعف الأداء،

(ج) مساعدته على التغيير والإثراء أو تطوير النظرة عند الضرورة. ومن وجهة نظر "لاهاف" (1995)، فإن المطالب الأساسية للفيلسوف، هي الكشف عن الافتراضات الضمنية وتقديم بديل لها، وتحليل المفاهيم، وتقديم أنماط وهياكل غير واضحة المعالم. وهو على بينة من مجموعة متنوعة من البدائل الفكرية - كما أن الفيلسوف مطلع على الأدب حول المفاهيم المتعلقة بالحياة البشرية - كالحرية ومعنى الحياة، والحق والباطل، والذات والآخر. إنه فيلسوف مدرب وخبير في الظواهر، وهو أيضاً قادر على وصف جوانب الخبرة الذاتية التي يتم تجاهلها عادة من قبل الشخص العادي.

ويشدد "لاهاف" على هذه الفكرة ويدعمها بالعديد من وجهات النظر، وخصوصاً آراء الفيلسوف لودفيج فيتجنشتاين Ludwig Wittgenstein ويبدو أن الفيلسوف أكثر ملاءمة لهذا الغرض، حيث إن له فلسفة في الإرشاد و"معاملة الفيلسوف للسؤال مثل "علاج مرض". وتنبثق صورة المرشد الفلسفي من عمله الذي يعالج مشكلاتنا اليومية الوجودية من خلال إزالة كل استخداماتنا للغة المربكة ومفاهيمنا المختلة حول استعمالها، وبالتالي فإن عمل المرشد الفلسفي هو "فك عقدة في تفكيرنا".

ووفقاً لـ إيلينبوجن (Ellenbogen,2006) فإن المرشد الفلسفي ليس مثل الطبيب النفسي الذي يشخص مشكلة المستنصح من خلال تسميات مُعدّة مسبقاً، مثل (DSM) وغيرها من تصنيفات الأمراض النفسية والعقلية، لكنه تشخيص حسب خصوصيات الحالة. ويبدو أن هذا

التوجه الفكري يتفق مع الحركة الإنسانية في الإرشاد النفسي وخصوصاً نظرية الإرشاد المتمركز حول الشخص Person centered therapy لكارل روجرز Rogers وكذلك مع حركة علم النفس الإيجابي التي قادها مارتن سليغمان وأتباعه Seligman عام (1998) اللتين رفضتا مبدأ التشخيص النفسي المسبق لاضطرابات البشر النفسية، وأن لكل شخص مشكلته المتفردة بذاتها، حيث استخدم سليغمان وبيرسون وميهالي وراشد مصطلحاً مغايراً لمصطلح (DSM) أسموه (UN-DSM)، وقد عبّر عن ذلك فيتجنشتاين (Ellenbogen 2006,106) بالقول: "لا تفترض أن كل شيء يسمى (x) لديه شيء واحد مشترك". وعلاوة على ذلك، فالمرشد الفلسفي يشجع المستنصح بشكل مستقل على تحديد وتقييم نقدي لافتراضات خفية أو غير مشخصة مسبقاً- "الصور أو التشخيصات الخاصة بها"- وذلك ليسمح له برؤية نفسه بعقلانية لتغيير الطريقة التي يرى فيها الأشياء إذا كان ذلك ضرورياً.

وتعتمد تعريفات الإرشاد الفلسفي على طائفة واسعة من الفلاسفة أو الأساليب التي تتضمن محاولات لدمج مجموعة واسعة، ومتناقضة من التعريفات في كثير من الأحيان. ويرى رايب (Raabe, 2001, 125-166) أن الإرشاد الفلسفي باعتباره واحداً من أبرز هذه التعريفات، يقوم على مسح شامل لكل المفاهيم النظرية للعلاج الفلسفي وأشكال الممارسة التي يستخدمها عدد من المرشدين الفلسفيين على نحو مباشر أو غير مباشر. ووفقاً لنموذج رايب في الإرشاد الفلسفي الذي يتكون من أربع مراحل، وهي:

المرحلة الأولى: مرحلة الغمر الحر Free floating، وهي المرحلة التي تتشكل من خلالها العلاقة بين المرشد والمستنصح: حيث يُسهّل المرشد عملية التعرف إلى مشكلات المستنصح، وتقييم ما إذا كان الإرشاد الفلسفي مناسباً لحالة المستنصح. وبالتالي يصبح على بينة من المرشد وأسلوبه العلاجي.

المرحلة الثانية- حل المشكلات الفورية Immediate Problem Resolution يسمح المرشد للمستنصح استخدام قدرات التفكير الفلسفي لاكتشاف حلول لمخاوفه الفورية، مثل مشكلة أخلاقية، قرار صعب، ترتيب الأولويات، وتقييم الوضع الخ... وفي هذه المرحلة فإن المرشد هو الخبير الذي يضع في اعتباره ما يلي:

أ - أنه لا يوفر إجابات للمستنصح، بل يوجهه نحو اكتشاف الحلول الخاصة به.

ب - توجيه المرشد للمستنصح على رؤية العالم الخاص به من خلال تطبيق مهارات التفكير المتطورة، انطلاقاً من افتراضات المستنصح ومعتقداته وليس بناء على إطاره المرجعي الداخلي.

المرحلة الثالثة- التعليم العمدي: intentionally teaches في هذه المرحلة يُعلّم المرشد المستنصح مهارات التفكير الناقد، مما يسمح له بشكل استباقي تجنباً لحدوث مشكلات مماثلة مستقبلاً. ويرى رايب(2001) أنه في هذه المرحلة يكون الإرشاد الفلسفي واضحاً من خلال تمييزه عن الإرشاد النفسي التقليدي.

المرحلة الرابعة- التجنب الاستباقي: Proactive avoidance تبدأ هذه المرحلة عندما يساعد المرشد المستنصح على عدم التركيز على المشكلات، بل على تطبيق مهارات التفكير الناقد المكتسبة حديثاً من خلال نموذج يستطيع من خلاله التعامل مع هذه المشكلات التي قد تظهر في المستقبل. في هذه المرحلة يتخلى المرشد الفلسفي كخبير عن المستنصح، بحيث يصبح قادراً على الحكم والنقد الذاتي، ومستقل على نحو كافٍ في تحديد وجهة نظره الشاملة، وبالتالي تعكس رؤيته للعالم خارج إطار التعليم والتدريب. باختصار إن الفلسفة هنا هي وسيلة وممارسة للحياة.

وفقاً لـ رايب (Raabe,2001) فإن هذه الطريقة تخدم أربع مراحل يتردد صداها لدى كثير من المرشدين الفلسفيين، وهي مساعدة المستنصحين على الاستكشاف والبحث عن نظرتهم للعالم من خلال الحوار المتمركز على المستنصح Counselees centered Dialogue الذي ينطوي على وصف (الظواهر) والتفسير (التأويل)، والتفكير الإبداعي الناقد، وبالتالي:

(أ) معالجة مجموعة متنوعة من المستنصحين ليس فقط حول القضايا المفاهيمية أو الأسئلة التي تتعلق بمعنى الحياة، ولكن أيضاً المشكلات العاطفية والسلوكية بقدر ما تحددها المشاعر والمواقف والإجراءات المتخذة من التفكير أو المنطق.

(ب) تعزيز معرفة الذات، والاستقلالية، وأصالة وجودها لدى المستنصحين. وعلاوة على ذلك، فإن العديد من المرشدين الفلسفيين يتفقون على أن نموذج رايب في الإرشاد الفلسفي يتضمن العناصر أو المتطلبات الأساسية في الإرشاد النفسي التقليدي (Raabe 2001, p. xxi). وهذا الفكر الفلسفي يتطلب الحد الأدنى من الكفاءة من جانب المستنصح ليكون قادراً على إجراء تحقيق عقلائي من خلال وجود علاقة تشاركية بين المرشد المستنصح، والقدرة على التكيف مع أساليب المرشد الفلسفية والأكاديمية، وضرورة التدريس المباشر، وجدول أعمال، ومنهجية واضحة، وتلك الإجراءات تسمح بالتغيير والتحسين لدى المستنصح.

وقد نهج "ناب وتجلتفيت" (Knapp & Tjeltveit 2005, 559) الأسلوب الذي اتبعه رايب في تعريف الإرشاد الفلسفي في ضوء دراسة استقصائية للمفاهيم القائمة، وأطلق عليها اسم: المرشد الفلسفي واسع النطاق "Broad-Scope Philosophical Counselor"، وهذا النهج هو واحد من العديد من الأساليب التي يتصدى لها الإرشاد الفلسفي التي تشمل أيضاً مشكلات نفسية، مثل الاكتئاب، والقلق، والعلاقات المتوترة التي ليس لها جذور بيولوجية أو أمراض عضوية. بينما يركز المرشد الفلسفي حصرياً على القضايا التي تقع عادة خارج نطاق الإرشاد النفسي، مثل: القضايا المنطقية، والميتافيزيقية، والأخلاقية، والسياسية... بالرغم من أنها تولي اهتماماً خاصاً إلى المفاهيم والأفكار التي تتعلق بمواقف الحياة لدى المستنصحين. كما أن هذا العمل الضيق لا يرمي إلى علاج المرض العقلي، بل يستخدم ضمن مجموعة من الأساليب المتباينة، مثل التوجيه المباشر وغير المباشر، الرسمي وغير الرسمي، القائم على المهارات التي تستند إلى تقنيات فلسفية أو نظرية قائمة على قراءات فلسفية بدرجات متفاوتة. وجميع هذه الأساليب تنطوي على توضيح المسائل الفلسفية في قضايا العملية الإرشادية، وتحديد المصطلحات الرئيسية، والتشكيك والتحليل الناقد للافتراضات والمبادئ الأساسية (خاصة عندما تكون غير واضحة)، وتحديد وتشكيل مشكلات التفكير كتحديد التناقضات. والمرشد الفلسفي يساعد المستنصحين في التعرف على الخيارات المختلفة المتاحة لهم في حالة معينة من جوانب تكون أقرب إلى وجهة نظر المستنصح، والتي مُكَّنه من إدراكها على نحو واضح، وأخيراً مساعدته على إيجاد اتجاه فلسفي خاص به لإثبات خياراته على نحو مستقل عن المعالج الفلسفي.

ج - الفنية مقابل الذاتية:

يمكن تصنيف جميع تعريفات الإرشاد الفلسفي الواردة أعلاه بأنها تعريفات موضوعية، وكل تعريف يدعي بأنه تعريف موضوعي. ومع ذلك، فالإرشاد الفلسفي لديه في كثير من الأحيان - وخصوصاً في السنوات الأولى لوجوده - تعريفات نظرية بدأت مع الفلسفة التقليدية أو غير الأكاديمية. فالفلسفة الأكاديمية هي بمثابة التنوير النظري العام لأطراف معينين (أساتذة، طلاب). على هذا النحو، قد تكون لهذه التعريفات قيمة فعلية وجديرة بالاهتمام بغض النظر عما تخدمه من أغراض محددة أو واسعة من ناحية، كما تهدف من ناحية أخرى إلى تحديد عنوان معين لمشكلات حقيقية للمستنصحين، بالرغم من أنها قد تستخدم نفس الأدوات وإنتاج نفس المعرفة للفلسفة الأكاديمية (Gutknecht, 2006). في حين تظهر الفلسفة الأكاديمية بأنها الجمباز العقلي الذي لا علاقة له بالحياة، والمرشد الفلسفي يعتمد

هنا على الفلسفة باعتبارها طريقة داخل عالم المستنصح والتي تشير إلى المعرفة العملية (Schuster, 1998, 48)

ويشير مصطلح الممارسة الفلسفية إلى ثلاثة أنواع من الأنشطة المهنية: إرشاد الأفراد، وإرشاد أنواع مختلفة من الجماعات، والتشاور مع منظمات عديدة. ويشمل الإرشاد الفلسفي فئات الأطفال في بيئة تعليمية، من خلال الأسلوب السقراطي في الحوار. والمنهج السقراطي هو الأكثر شعبية خصوصاً بين أولئك الذين يدعون أن الإرشاد الفلسفي لا يمكن أن يكون مقيداً بوسيلة محددة. ورغم ذلك، فالحوار السقراطي، يعني بالضبط: أ - أسلوب من القواعد الداخلية الصارمة، حيث يطرح المرشد الفلسفي السؤال للمجموعة، ثم يتعين على المشاركين تقديم أمثلة ملموسة عن الحالات التي تواجه مشكلة في السؤال. والمستنصحو الآخرون يتخذون قراراً بشأن الأمثلة التي تكون بمثابة محور للمناقشة. والهدف من ذلك هو اتفاق جميع المشاركين على إجابة مناسبة للسؤال (باستثناء المستنصح صاحب المشكلة) الذي يقوم بالتدخل لبيان الرأي الصحيح.

الجدور التاريخية للإرشاد الفلسفي وتطوره:

إن الإرشاد الفلسفي قديم، قدم الفلسفة نفسها، خصوصاً أنه كان يمارس من قبل سقراط في سياق حوار مع السفسطائيين Sophists، إذ ربط سقراط الفلسفة بممارسة الطب، والهدف من الفلسفة هو تحسين النفس البشرية وتخليصها من الأفكار الكاذبة التي تصيبها. هذا الهدف أصبح التحدي الأساسي في الفلسفة، باعتباره يتناول الجوانب الأخلاقية في حياة الناس من الجانب النظري، لكن الشق الآخر من الفلسفة الذي يتمثل في "الجانب العملي" لمعالجة هذه القضايا التي تتعلق بمصير الإنسان لم يوله الفلاسفة الاهتمام اللازم منذ بدايات القرن العشرين وحتى ظهور هذا المفهوم على الساحة العلمية. بالرغم من أن المدرسة السقراطية والهلنستية في الفلسفة تصدت لمهمة إيجاد حل لهذا التحدي. وظلت هاتان المدرستان الفلسفتان بارزتين لإنجاز هذا الهدف (إنقاذ للحياة) أو المهمة "لإنقاذ الروح" عن طريق الفلسفة. بينما أظهرت مدرسة أبيقور (الأبيقورية) والمدرسة الرواقية محاولات جادة لتشخيص مشكلات الإنسان وتقديم بعض الأساليب الإرشادية لها، إذ أصبحت تلك الفلسفة تعالج أعداداً كبيرة من المشكلات التي تحاصر حياة الإنسان.

ويُعتقد أن أبيقور Epicurus - مؤسس المدرسة الأبيقورية Epicureanism الذي يُعدّ أول من وضع أسس الفلسفة كعلاج، أن الفيلسوف الذي يقدم الإرشاد للحدّ من المعاناة

الإنسانية بدلاً من أي استخدام للإرشاد الطبي إذا كان الشخص لا يعاني من الأمراض الجسدية؛ فكذلك لا توجد أية قيمة لاستخدام الفلسفة إذا لم تعالج معاناة الروح (Long) Sedley, 1987, 155. ويعتقد أبيقور Epicurus بقوة أن الفلسفة يمكن أن تجلب الهدوء إلى النفوس المضطربة من البشر. وقد انتشرت مثل هذه الأفكار والممارسات في فترة الفلسفة الهلنستية وكذلك في العديد من المدارس حول أحداث الحياة الضاغطة التي تواجه الإنسان. واعتبر سقراط، كفيلسوف، رائدا للعلاج الفلسفي، الذي يعتقد أن طريقة إدراك البشر لحياتهم يمكن أن تشكل البؤس بالنسبة إليهم، وأن الفلسفة سوف تساعدنا على تخلص حياتنا من هذه المآسي بهدف الوصول بالمستنصح إلى قناعة بأن "الحياة تستحق أن تعاش"، وبالتالي حثّ العملاء على معرفة أنفسهم بشكل جيد. هذا هو الإرشاد الفلسفي الذي يساعد البشر على إعطاء فكرة واحدة حول الحياة وما يتعلق بمعانيها بشكل عام. أي، إنه يساعد على توضيح القيم وجعل الحياة "تستحق أن تعاش".

ويعتقد سينيكا Seneca، وهو من أقطاب المدرسة الرواقية في الفلسفة - الذي شارك بجدية في البحث عن مشكلات لحالة الإنسان، أن موضوع الفلسفة هو البشر، وأن الإرشاد الفلسفي يعالج الأرواح التي أزهدت العقل عن طريق تنمية الأمل والتفاؤل والمساندة الاجتماعية. كما يعتقد أن الفلسفة تساعد على فهم وتقدير أكثر للقيم في الحياة، وذلك لمعرفة ما يستحق المتابعة في حياة الهدوء داخل النفس البشرية. وآخر المتحمسين لفكرة الإرشاد الفلسفي، شيشرون، في كتابه Disputations Tusculum، والتي تقوم على فن شفاء الروح. وشدد على أن هذا الفن يجب السعي إليه بكل ما أوتينا من مصادر القوة حتى تتمكن من أن يكون الطبيب الخاص بنا. كما يمكن أن يساعد الشخص كي يصبح طبيب نفسه، ومن ناحية أخرى يلعب دور الطبيب لشخص آخر من خلال تقديم العلاج أو الإرشاد الفلسفي. كما أن الفلاسفة العرب قد أبدعوا في ممارسة العلاج النفسي والطبي للمرضى الذين يعانون من اضطرابات ومعضلات مختلفة، مثل ابن سينا، والكندي وابن مسكويه، وقد كانت وظائفهم العلاجية تقوم بتعريف الأمراض الغالبة على النفس وتشخيصها وتحديد أصنافها، ثم يقترحون العلاج المناسب لكل صنف. إنه الطبيب الفيلسوف الذي يحدد كليات المعضلات وليس النظر إلى الجزئيات في مشكلات المرضى. وبما أن الأمراض المتعلقة بالنفس تنعكس على المجتمع، فإنّ الفيلسوف هو أيضاً طبيب مادام علاجه يسعى للحفاظ على صحة الفرد والمجتمع (الحسن، 2012).

وقد ظهر مصطلح الإرشاد الفلسفي منذ عقدين من الزمان بالرغم من أنه ما زال يعاني من ضعف في تحديد هويته، بالرغم من العدد المهول من الأبحاث والكتب المنشورة، حيث لا يوجد حتى الآن اتفاق يشكل أرضية منهجية صلبة يتبناها الإرشاد الفلسفي. وإذا كان حقاً كذلك، فما هي الأهداف والنوايا؟ وأي نوع من المهارات المطلوبة للمرشد الفلسفي؟ وكيف يقارن مع غيره من أشكال الإرشاد النفسي؟ ويشمل مجموعة منتقاة من الأساليب والإجراءات والنماذج والنظريات، والطرق (Raabe,1999,1).

ويرى رايب (Raabe,1987) في الإجابة عن هذه التساؤلات، "أن الرؤية الإرشادية والأسلوب الفلسفي كانا غارقين بطريقة أو بأخرى في فترة العصور الوسطى عندما ذهب الفلاسفة إلى الحديث عن المسائل النظرية والتجريدية، كالقيم، والإخلاص، الحكم، والدين، والروح، والله... لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً، إذ سعى كثير من الفلاسفة في العصر الحديث لإعادة توجيه الفلسفة لتصبح عملية أكثر فعالية، كما كانت في بدايتها (نظرية وعملية)، حيث لاحظ ديكارتDescartes، وكانطKant، ونيتشهNietzsche، وديويDewey أن الفلسفة قد انحرفت عن مسارها عندما أبعدت الجانب العملي لأهدافها، وكان رأي هؤلاء الفلاسفة أنه ينبغي للفلسفة أن تواجه أسئلة مهمة في الحياة اليومية، ويبدو أن هذا هو طريق العودة إلى العقل من خلال مسار الإرشاد الفلسفي، وبالتالي العودة إلى المسار الطبيعي أو الأصلي للتعامل مع المشكلات التي تواجه البشر من خلال توضيح وجهات النظر التي قد تؤدي إلى الالتباس في ظروف البشر. وقد ولدت الحركة الناشئة في العصر الحديث محاولة لعودة الفلسفة إلى مهمتها الأصلية في معالجة مشكلات البشر، وليست ثمرة للعلاج النفسي، أي محاولة لإنزال الفلسفة من برجها العاجي (النظري) إلى أرض الواقع (العملي). وهكذا، فإن الفلسفة لديها الآن القدرة والكفاءة على المشاركة عملياً خارج الجدران الأربعة للمؤسسات الأكاديمية، لأن لديها الآن بُعد إكلينيكي (علاجي) بطريقة أو بأخرى كأحد أبعاد المهنة الإرشادية.

ومنذ عام (1970) بدأت الجهود الحثيثة لجعل الإرشاد الفلسفي مجالاً متميزاً للممارسة في الفلسفة الأكاديمية في الفصول الدراسية، ووفقاً لرأي رايب (Raabe,2002) فقد دفع هذا المسعى عن طريق نشر بيتز (Peter Koestenbaum,1971) كتاباً بعنوان "صور جديدة للشخص"، ويعد هذا الكتاب بحق أحد الممارسات لتطبيق الإرشاد الفلسفي في الواقع.

كما تبلورت الحركة الإرشادية الفلسفية في وقت لاحق عام (1981) عندما افتتح "جيرد آخيتباخ" Gerd Achenbach مكتباً لممارسة الإرشاد الفلسفي في مدينة كولونيا الألمانية،

وبعدها أسس في عام (1982) جمعية (براكسيس الفلسفية) الفلسفية Philosophical Praxis.

وفي الولايات المتحدة تعد جمعية الإرشاد والممارسة الفلسفية التي أصبحت منذ عام (1992) تسمى بالرابطة الأمريكية للإرشاد والعلاج الفلسفي (NPCA) American Society for Philosophy, Counseling, and Psychotherapy 2 مرجعاً حقيقياً للعلاج الفلسفي، التي شارك في تأسيسها ثلاثة فلاسفة هم، إليوت كوهين Elliot. Cohen، وبول شاركي Paul Sharkey، وتوماس ماجنيل Thomas Magnell، كما تأسست في مدينة نيويورك عام (1998) جمعية الممارسين الفلسفيين (APPA) من قبل مارينوف Marinoff، إذ تقدم هذه الجمعية برنامجاً في إرشاد الباحثين الحاصلين على درجات متقدمة في فلسفة الذين يرغبون في ممارسة الإرشاد الفلسفي. كما أسس مارينوف في عام (2004) مركز الجدول Center of Controversy لممارسة الإرشاد الفلسفي في كلية مدينة نيويورك (Marinoff,2002).

ومنذ ذلك الحين، أصبحت العيادات الفلسفية في أوروبا وأمريكا الشمالية تقدم خدمات الإرشاد الفلسفي للعديد من المستنصحين حسب النموذج الفلسفي. كما وجدت أدبيات وأدلة مرجعية كثيرة حول هذا الموضوع، فكتاب مارينوف (Marinoff,1999) الموسوم بعنوان "أفلاطون وليس بروزاك" 3 (Plato not Prozaic) من أكثر الكتب مبيعاً في أوروبا وأمريكا. ونظراً لإخفاق هذه الأدوية في علاج حالات اضطراب المزاج والقلق والاكتئاب، إلا أن الخلاف ما زال قائماً بين المرشدين حول ما إذا كانت مثل هذه الأمراض هي نتيجة لاختلال التوازن الكيميائي في الدماغ أم مشكلات في بناء مفهوم لواقع الحياة. وهكذا يبدو أن مثل هذه المشكلات الحياتية ليست مسائل كيمياء الجسم، ويمكن أن يكون لها تصور خاطئ عن الحياة. ويرى مارينوف (Marinoff,2004) مدلاً على أن بعض مشكلات البشر يمكن أن تكون راجعة إلى عدم وجود رؤية فلسفية سليمة.

2- تأسست عام 1992، وتتمحور فكرتها حول القول بأن أشكال الإرشاد الفلسفي والنفسية هي السبل المتكاملة والمتزبطة لمساعدة الناس على مواجهة مشكلات حياتهم، حيث سعت منذ إنشائها إلى جلب الفلاسفة والممارسين في الصحة النفسية بما في ذلك العاملين الاجتماعيين والأخصائيين النفسيين ومرشدي الصحة النفسية.

3 - البروزاك: هو الاسم التجاري لعلاج الاكتئاب، إضافة إلى عقار ريتالين Ritalin.

وحتى يصبح الإرشاد مهنة لا بد للممارس من تدريب خاص في الفلسفة، وهذا يعني أنه على المرشد الفلسفي تكوين العديد من الخطابات الفلسفية الواسعة التي يمكن أن تكون قابلة للتطبيق لحل المشكلات المختلفة التي تواجه الناس، كما يمكن تصميم المناهج الأكاديمية من منظور آخر لتدريب الممارسين على أساليب الإرشاد الفلسفي.

ويوجد حالياً العديد من الجمعيات المهنية لتقديم الإرشاد الفلسفي في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك فرنسا، بلجيكا، ألمانيا، النمسا، سويسرا، بريطانيا، إيطاليا، إسبانيا، اليونان، هولندا، النرويج، الدنمارك، فنلندا، لوكسمبورغ، كندا، جنوب أفريقيا، أستراليا، البرازيل، البرتغال، كوريا، تركيا، اليابان، والولايات المتحدة. ونأمل في الوقت القريب أن تمتد هذه الحركة لتشمل الجامعات العربية لما لها من فوائد كثيرة في المشاركة بتقديم الخدمات الفلسفية إلى جانب خدمات الطبيب والمرشد النفسي للأفراد الذين يعانون من مشكلات نفسية قاعدتها الصراع الأخلاقي والوجودي والقيمي (Nneji, 2013).

ومن هذا، لا يمكن لأي شخص أن يكون مرشداً فلسفياً، فالمرشد أو المعالج الفلسفي بحاجة إلى تدريب خاص على درجة متقدمة في الفلسفة. ويعني ذلك أنه يحتاج إلى تكوين لديه معرفة في العديد من الخطابات الفلسفية لتطبيقها بطريقة مجدية في حل المشكلات المختلفة التي تواجه حالة المستنصح. وهذا الإجراء هو وسيلة رائعة للمرشد الفلسفي ليكون ناجحاً في هذه الممارسة. ويرى كوهين (Cohen, 2014) أن ليست كل مشكلة شخصية هي مرض نفسي، وإذا كنت مريضاً جسدياً أو نفسياً، فإنك تحتاج إلى طبيب عام أو طبيب نفسي، ولكن إذا كنت ترغب في دراسة حياتك وقيمك، وأن فلسفتك في الحياة غير واضحة المعالم، فعليك الذهاب إلى مرشد فلسفي.

فالإرشاد الفلسفي، إذن، هو لعلاج العاقل. " وهذا أمر مؤسف للغاية، لأنه يشير إلى أن العاملين في مجال الصحة العقلية لا يعالجون إلا المضطربين عقلياً "مجنون"، وإذا كنت شخصاً عاقلاً فيجب عليك التحدث إلى الفيلسوف بدلاً من معالج نفسي. وتستنكر الجمعية الوطنية الأمريكية للإرشاد الفلسفي (NPCA) مثل هذا الانقسام، وترى أنه عمل زائف أو مضلل، ومنفر، بدلاً من ذلك، يعمل علماء النفس وأطباء الصحة النفسية الآخرين على تقدم الإرشاد النفسي والإرشاد الفلسفي لتلك المشكلات دون خلق حواجز مصنعة، ولكن ينكرون أن يقوم المرشد الفلسفي ببعض هذه المهام بالنسبة لبعض الأشخاص الذي يواجهون مشكلات شخصية تتعلق بقيمتهم وفلسفتهم غير الواضحة في الحياة.

في الواقع، هذا الأمر غير دقيق للغاية، لأن بعض المرشدين الفلسفيين تجاوزوا حدود الفلسفة النظرية وانتقلوا إلى الميدان العملي من خلال تصميم برامج حديثة لها أسس ومبادئ معترف بها. فعلى سبيل المثال قدمت الجمعية (NPCA) برامج إرشادية قائمة على نظرية ألبرت إيس في العلاج العقلاني الانفعالي للسلوك Rational Emotive Behavior Therapy (REBT) تشمل بعض المدربين. كما أن معهد التفكير الناقد (ICT) قد قدم برامج تدريبية في نوع معين من الإرشاد الفلسفي المعروف باسم "العلاج القائم على المنطق" Logic Based Therapy (LBT) وهي نظرية فلسفية طورها كوهين (Cohen, 2003) والتي يسعى من خلالها إلى مساعدة المستنصحين في التغلب على مشكلاتهم السلوكية والانفعالية، وتفحص المنطق بدلاً من الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلات. وهذا النوع من العلاج الفلسفي له جذوره في العلاج النفسي، وخاصة العلاج العقلاني الانفعالي، بالرغم من أن هذه البرامج تعد في الوقت الحاضر من أبرز أشكال الإرشاد الفلسفي، والتي تؤكد الارتباط الوثيق بين الإرشاد النفسي والإرشاد الفلسفي.

هل الإرشاد الفلسفي شكل من أشكال الإرشاد النفسي؟

نوقشت العلاقة بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي كثيراً في التاريخ القصير لحركة الإرشاد الفلسفي؛ فالإرشاد النفسي بالمعنى الواسع للكلمة هو أحد المجالات التطبيقية المهمة لعلم النفس الذي يهتم أساساً بالتوافق النفسي للأفراد في مجالات حياتهم المختلفة ليكونوا أفراداً فاعلين ومنتجين في المجتمع، وهو معنيّ أساساً بمشكلة التوافق الإنساني، بهدف مساعدة الإنسان للعيش في حالة من السعادة والأمن النفسي بعيداً عن الصراعات والإحباطات النفسية التي تعكر صفاء حياته ورفاهيته (Norcross et al, 2003). بينما يُعرّفه هاينس وآخرون (Haynes, et al, 1980, 37) بأنه "استخدام التدخل العلائقي بين شخصين، معالج مدرب ومؤهل علمياً وفنياً، وعميل أو مريض يعاني من مشكلة ما، يسعى المرشد من خلال هذه العلاقة لمساعدته على حل مشكلاته اليومية، وعادة ما تتضمن زيادة إحساس الفرد بالسعادة والحد من الانزعاج. إذ يوظف المرشد مجموعة من التقنيات التي تعتمد على العلاقة البناءة بينهما، كالحوار، والتواصل، وتغيير السلوك، وذلك لتحسين الصحة النفسية للمعالج على المستوى الفردي والاجتماعي".

ويتلقى المرشدون النفسيون عادة، للقيام بمهامهم في دراسة اضطرابات السلوك وفهمها وعلاجها على الوجه المطلوب؛ تدريباً خاصاً في مجالات ثلاثة:

المجال الأول: قياس الذكاء والقدرات العقلية العامة، وذلك لمعرفة حالة الفرد العقلية والنفسية في الحاضر والمستقبل.

المجال الثاني: قياس الشخصية، ووصفها، وتقويمها، وتشخيص السلوك الشاذ بغرض معرفة شكوى المسترشد أو المتعالج، والظروف المختلفة التي أحاطت به، وأدت به إلى ظهور تلك المشكلة، مما يساعد بالتالي على فهمها بدقة، وتمهيد الطريق إلى علاجها.

والمجال الثالث: يرمي الإرشاد النفسي بأساليبه وطرائقه المختلفة إلى تخليص الفرد مما يعانیه من اضطراب وسوء توافق (العاسمي، 2015)

بينما الإرشاد الفلسفي الذي يعد جيرد أخينباخ Gerd Achenbach المؤسس الحقيقي له في العصر الحديث، إذ يشير إليه كبديل للإرشاد النفسي. كذلك أشار براون (Brown,1983,29) إلى أن الإرشاد الفلسفي هو في واقع الأمر فلسفة تطبيقية، وإن لم يكن علاجاً بآتم معنى الكلمة بالمفهوم الطبي.

والهدف الرئيس لنموذج أخينباخ الديالكتيكي هو السؤال عن الافتراضات غير المعكوسة، وتحفيز الأفكار في المواقف الشخصية، وليس توفير الراحة لهؤلاء المنكوبين أو المضطربين عن طريق منح الأولوية لعلاقة مفتوحة، حيث يقوم المرشد الفلسفي بتقويض الافتراضات المريحة وإثارة الأفكار المقلقة. بينما يرى تيلمان (Tillman,1995) أن الإرشاد الفلسفي يعد شكلاً من أشكال الإرشاد الفكري الذي يختلف تماماً عن الإرشاد النفسي التقليدي. ووفقاً لهذا، يكون الهدف من الإرشاد الفلسفي هو توضيح المفاهيم حول الحكمة، والمفاهيم الأخرى المتعلقة بالقيم دون اللجوء إلى توضيح أشكال الاضطرابات النفسية أو مفاهيم الصحة النفسية. ومع ذلك، من المسلم به أن الإرشاد الفلسفي قد يكون له آثار نفسية مفيدة، كالتالي يمكن وصفها على نطاق واسع في العملية العلاجية أو الإرشادية (Lahav., 2001).

هل الإرشاد الفلسفي علم أم فن؟ أم كلاهما؟

إذا أجبنا بأنه شكل من أشكال الفن، فإننا نكون قد وقعنا في ورطة، لأنه إذا كان الإرشاد الفلسفي فناً، وإذا كان الإرشاد الفلسفي علماً، فيمكن أن يكون أي شيء. وهو ليس كذلك، ثم مرة أخرى، فإنه من الصحيح أيضاً أن الحديث عن الإرشاد النفسي يعتمد إلى حد ما على فن المرشد النفسي في علاقة إرشادية مع المسترشد أو المستنصح قائمة على البصيرة، والخيال والإبداع في مساعيهما لتطبيق الفنية أو التقنية الإرشادية. في حين أن الإرشاد الفلسفي ليس على نحو دقيق كشكل من أشكال الفن، بيد أن لديه بعض الأشياء المشتركة مع أشكال الفن.

ومن ناحية أخرى، إذا قلنا إنه علم، سنكون في ورطة أيضاً، لأن العلم له نظريات وأساليب تقدم لنا معرفة تراكمية أكثر وثوقية مع مرور الوقت، كما هو الحال في مجال العلوم الطبية. وبهذا المعنى، فالإرشاد الفلسفي ليس بعلم، على اعتبار أن بعض النظريات القديمة يمكن أن تكون أكثر فائدة في حالة معينة من النظريات الأحدث منها. إن طريقة نيلسون في الحوار السقراطي Nelson style in Socratic dialogue⁴ هي بالتأكيد علمية بقدر ما هي موثوق بها. وبطبيعة الحال، فقد وضعت العديد من الفلسفات الهندية أشكالاً فعالة جداً للتأمل، والتي هي جميعاً ممارسات فلسفية، وعلوم تطوير للذات. في حين أن الإرشاد الفلسفي ليس بالضبط علماً، لكن لديه بعض الأشياء المشتركة مع العلم. فعوضاً عن الفلسفة النظرية العقيمة التي استبدت بالتعليم الفلسفي، تحضر الفلسفة الإرشادية لتمنح للأشياء الهامشية قيمة. فتعيد بذلك الاعتبار لعالم الحس، عالم الظواهر للأشياء البسيطة رداً على المثاليات الفلسفية التي ترفع من شأن المطلق والمتعالي.

وهنا، لا ينبغي الخلط بين "الفلسفة باعتبارها" علاجاً وبين فلسفة الإرشاد. فهذه الأخيرة تحيل إلى التحليل الاستمولوجي للمفاهيم والمناهج التي تخص الممارسة الطبية. فلسفة الإرشاد تصنف ضمن مباحث الفلسفة البيولوجية أو تاريخ العلوم. أما الفلسفة التي نقصدها هنا، فهي التي تعوض الفيلسوف النظري كما هو معروف في التصور التقليدي بالفيلسوف الطبيب الذي تتحدد مهامه في منح الصحة الكبرى للفرد والمجتمع أيضاً. كما لا ينبغي الخلط بين "الفلسفة باعتبارها علاجاً" وبين ما يتداوله بعض المعاصرين من المهتمين بالاشتغال من صيغ تعبيرية كـ "الإرشاد بالفلسفة" أو "التداوي بالفلسفة".

وتعلّق مارينوف (2002) على ذلك بالقول: ودفعاً لكل اعتراض مفترض على دعوانا، نشير إلى أن اعتماد الصيغة اللغوية المتضمنة في عنوان هذه المحاولة، لا تعني الدمج التعسفي لمفهومين متباعدين اعتاد الجمهور نسبتهم إلى مجالين متباينين أحدهما عملي وهو الطب، والآخر نظري هو الفلسفة. وبالعكس فمفهوم الإرشاد حاضر بمنطوق اللفظ في الكثير من الفلسفات على اختلاف العصور.

⁴ - اعتقد الفيلسوف الألماني ليونارد نيلسون (1882-1927) أنه على خلاف المعرفة التجريبية التي يمكن استخلاصها من التجارب الحسية. والحكمة الفلسفية هي البصيرة التي يتم اكتسابها من خلال استخدام العقل. فالحوارات السقراطية حسب نيلسون، تبدأ مع خبرات الناس الخاصة، والمضي قدماً من خلال عملية تجريد انعكاسية.

هل يمكن تقديم الإرشاد الفلسفي بديلاً عن الإرشاد النفسي؟

لا يمكن بأية حال أن يكون ذلك، لأن الإرشاد الفلسفي يختلف عن الإرشاد النفسي، ويمكن أن يكون الإرشاد الفلسفي مرحلة مهمة جداً في حياة المرء لفهم ذاته وتنميتها. فهناك أنواع كثيرة من نظريات وأساليب الإرشاد والعلاج النفسي يمكن أن تقدم كوسائل مساعدة للمسترشدين الذين يعانون من معضلات حياتية. وفي الوقت نفسه يركز العديد من المرشدين النفسيين- إن لم يكن معظمهم على الانفعالات، مثل: يونغ، وروجرز، وإليس، وفرانكل، وفروم... الذين انتقلوا نحو الطرق الفلسفية للإرشاد، ومعظم المرشدين الفلسفيين تناولوا الجوانب الأساسية للانفعالات، التي هي قوة لا يستهان بها في حياة المرء، والعديد من عملاء الإرشاد الفلسفي استكشفوا الجوانب المعقولة في علم النفس تمهيداً للانتقال إلى الفلسفة، والمثل يقول: "تعلم السباحة في المياه الضحلة قبل الخوض في المياه العميقة".

ومهما تكن الآراء حول هذه المسألة، فالجواب بلا؛ فالناس الذين يعانون من الأمراض العقلية التي يمكن أن تجعلهم مضطربين عقلياً أو تشكل خطراً على أنفسهم وغيرهم قد يستفيدون من الرعاية النفسية. والمرشدون الفلسفيون، مع ذلك، يشعرون بالقلق من أن الطب النفسي يحتمل أن يصف كل نوع من المشكلة الإنسانية بالسلوك المرضي العقلي. فقد نجد مثل هذا الرأي غير مقبول؛ فالناس الذين يعانون من مشكلات أخلاقية، وصراعات مهنية، ومشكلات متعلقة بالقيم، واضطراب معنى الحياة والهدف منها، والصراعات داخل العلاقات الاجتماعية القائمة على التنافس والإقصاء، وعدم اليقين بشأن الهوية أو التغيير المهني، أو الصعوبة في التعامل مع الخسارة، عادة ما تكون طبيعية جداً، ولا تحتاج على الإطلاق إلى تشخيص دقيق كمشكلات المرض النفسي، وإذا استخدم المرشد الفلسفي تقنيات الإرشاد النفسي مع هذه الحالات فإنها يمكن أن تضر بالمستنصح أكثر من أن تنفعه. فالأشخاص الذين يعانون من اضطرابات عقلية، أو انفعالية، أو سلوكية شديدة قد يستفيدون من العلاج النفسي. أما الأشخاص الذين يعانون من مشكلات عادية، فيمكن أن يستفيدوا من الإرشاد النفسي أو الفلسفي.

الفرق بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي:

الإرشاد الفلسفي ليس هو الإرشاد النفسي، ولكن الفروق بينهما ليست واضحة تماماً. وكانت الفلسفة وعلم النفس علماً واحداً من حيث الانضباط المشترك؛ فقبل القرن الثامن عشر، كان علم النفس فرعاً من فروع الفلسفة. وقد لاحظ الفلاسفة دائماً موضوعات الطبيعة

البشرية، مثل الإدراك، والمعرفة، والوعي، والعواطف، (التي تعد الآن من موضوعات علم النفس)، وقد درس علم النفس ضمن الفلسفة لأكثر من (2000) سنة. والعديد من العلاجات النفسية هي في الواقع لها جذور فلسفية تماماً، (مثل أسلوب كارل روجرز في العلاج المتمركز حول الشخص، والعلاج العقلاني الانفعالي لألبرت إليس، وتحليل المعاملات، ليفيكتور فرانكل، والعلاج الوجودي لرولو ماي)؛ وبعض المناهج النفسية هي فلسفية (الظواهر أو الوجودية). ويبدو من ذلك أن لا وجود لعلم النفس من دون التبصر الفلسفي، ولا وجود للفلسفة من دون التبصر النفسي. لذلك، لا يمكن التفريق بينهما من الناحية النظرية؛ كما أنهما يشتركان ببعض الوسائل والأهداف المشتركة، وكيفية حل المشكلات لدى الإنسان. فهما مكملان لبعضهما بعضاً. غير أن هناك بعض الاختلافات الملحوظة على الفور.

فالإرشاد النفسي في العصر الحديث له سيادة واضحة على ممارسة الإرشاد الفلسفي، فالمرشدون الفلاسفيون يدافعون عن آرائهم التي تختلف، على الأقل - عن الإرشاد النفسي إن لم يكن أفضل من الناحية النظرية. فالتمييز بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي كما أشار لاهاف (Lahv,2005)، بأن التحليل النفسي هو أفضل علاج يمكن اتهامه بالأبوية. ويؤكد كوهين (Cohen,2005) بحق الأسس الفلسفية في نظريات الإرشاد النفسي، باعتبارها الأساس في أي ممارسة علاجية. فقد نجد أن أسس الإرشاد الوجودي قائمة على الفلسفة الوجودية، والإرشاد العقلاني الانفعالي تم تأسيسه على المدرسة العقلانية (الأيقورية)، والإرشاد المتمركز حول الشخص أسس على الفلسفة الإنسانية الخ... ومن الواضح أن معظم مدارس الإرشاد النفسي تم تأسيسها على المناهج الفلسفية.

ويؤكد المرشدون الفلاسفيون بحق على كفاءة علماء النفس في التعامل مع بعض القضايا الفلسفية التي تم إدراجها ضمن الإرشادات النفسية، ونتيجة الحاجة لمعالجة هذا العجز يمكن اعتبار الإرشاد الفلسفي المشروع البديل للإرشاد النفسي. فالتعليم والتدريب النفسي الرسمي قد يكون شرطاً، لكنه غير كاف لتقديم المشورة الفلسفية، وبالتالي، فإن الإرشاد الفلسفي مطالب بالاستقلال التام عن الذات، وهذا ما نادى به الفلاسفة في بداية القرن الماضي، لكن ليس كل مرشد فلسفي مطالباً بالانضمام إلى هذا التوجه، والاستثناء الملحوظ فيما طوره "كوهين" حول المنهج الهجين يتضمن بعض تقنيات الإرشاد العقلاني الانفعالي وحتى نماذج الإرشاد المعرفية الحديثة، مثل، العلاج الجدلي السلوكي Dialectic behavioral therapy، والعلاج المعرفي القائم على اليقظة العقلية Mindfulness based cognitive therapy، وعلاج ما وراء المعرفة Meta-cognitive therapy، تقع جميعها ضمن جسم

الإرشاد الفلسفي. فبعض المرشدين الفلسفيين يواجهون مشكلة حول الكفاءة النفسية من خلال استبعاد الانفعالات في أثناء ممارستهم الفلسفية، على اعتبار أن هذه الانفعالات من الموضوعات المشروعة للإرشاد الفلسفي.

ومن الناحية النظرية، لا تشمل الأنظمة الفلسفية العلوم النفسية، ولكن، في المقابل، كيف ستكون للفلسفة أي صلة بالحياة الإنسانية إذا لم تتعامل أيضاً مع الانفعالات؟ فمعظم الدراسات الفلسفية العملية تدين لهذه الحقيقة المهمة. إن ترسيم الحدود بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي لا يمكن توضيحه من الناحية النظرية. علاوة على ذلك، فإن السياق الاجتماعي قد يكون مطالبنا بذلك، فمعظم المستنصحين يأتون إلى المرشد الفلسفي لحل مأزق شخصي في حياتهم، وليس لتوسيع آفاقهم الفلسفية، واكتشاف سيرتهم الفلسفية، ورغم ذلك لا يمكن للمرشد الفلسفي استبعاد أي نقاش منهجي خال من الانفعالات. وهكذا يبدو، أنه ليس هناك حاجة لاستبعاد مناقشة الانفعالات في الإرشاد الفلسفي من الناحية العملية. فمن الأهمية بمكان إدراج الانفعالات في المناقشة الفلسفية. وبالرغم من أهميتها فإنها ليست سوى جانب واحد من مشكلة إدراج علم النفس بالفلسفة، وبالتالي في الممارسة الفلسفية.

وتعكس مسألة ترسيم الحدود بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي على المستوى النظري والممارسة العملية، استخدام المعرفة والتجربة باعتبارهما جزءاً من الإرشاد الفلسفي الذي يعبّد الطريق للمرشد الفلسفي من خلال متاهة المعرفة الفلسفية ومساعدته على اختيارات تحقيق الهدف. فقلة من البشر يدركون أن أكثر من (10,000) فكرة مختلفة في مجال تقديم الإرشاد العلمي، وأكثر من (250) أسلوب علاجي مختلف، والميدان كله حالة من الجريان والتغيير المستمر، فهناك أساليب جديدة وأفكار عن كيفية مجيء الإنسان على الساحة العلمية بانتظام.

إن النظر في هذه المسائل لتقييم النظريات المختلفة يطرح مجموعة من التساؤلات: كيف تقدم الخطيئة؟ كيف نقرب من الانثروبولوجيا؟ فورا كل علم نفس علمي انثروبولوجيا غير كتابية. وكيف يقدم علم النفس؟ ما هو الأهم: الفلسفة، أو التدريب النفسي، أو التدريب الديني؟ فقد يكون علم النفس مفيداً لفهم المشكلة (التشخيص)، لكن علم النفس الحديث هو سيئ للغاية في إعطاء علاج لمشكلات الجنس البشري. وكيف يتم تحديد المشكلة؟ ما مدى أهمية أنهم لا يعتبرون المشاعر كأساس لمشكلات المسترشد؟ ما الهدف من الإرشاد؟ ما دور المرشد؟ وما مصدر الحقيقة التي استخدمها المرشد؟ ما هي مشكلة المسترشد للتحسن أو الشفاء أو التغيير؟ ما المنهجية التي يستخدمها المرشد؟ النظر في نظرية المعرفة في تقديم

الإرشاد، وهذه الشعبة من شعب النظريات الفلسفية، لكن المسألة هي: كيف نقترح التعرف إلى ما يعرفونه. هل عن طريق الحدس، أم المنطق، أم التجربة، أم الحواس، أم بواسطة الوحي؟ كما تطرح مجموعة من التساؤلات الأخرى، منها:

1. هل إرشاد مرشد معين يختلف عن إرشاد الآخرين؟ إذا كان الأمر كذلك، لماذا؟
2. هل يمكنني إحالة الشخص ما إلى مرشدين آخرين؟ إذا كان الأمر كذلك، فعلى أي أساس، ما المعايير، والحقائق؟
3. كيف يجب أن أكون حذراً في القراءة، والاستيعاب، وذلك باستخدام الأفكار من الكتب الدينية في مجال الإرشاد؟ هل معظمها انتقائي؟
4. كيف يمكنني وزن القضايا، ومعرفة متى يمكن استخدام أفكار أستقيها من مختلف الكتب الفلسفية التي تمثل اتجاهات في النظر إلى الطبيعة البشرية؟
5. كيف يمكنني جعل جميع المسترشدين يفهمون أسلوبني في تقديم المشورة ليفهموا الفرق، ولماذا؟

يرى راسل (Russell,1997) أن الإرشاد النفسي لا يمكن تمييزه بدقة عن الإرشاد الفلسفي من خلال وجود مشكلة التركيز، وتقديم الإرشاد الفلسفي لا يمكن تمييزه بدقة عن الإرشاد النفسي من جانب غياب التركيز المزعوم على المشكلة. ويعني ذلك، عدم وجود فرق ثابت وواضح بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي فيما يتعلق بما يفعله كل منهما، ولماذا يفعل ذلك لتوفير حجة ضد احتكار التقنيات للعلاج النفسي من طرف علماء النفس، واستبعادها من طرف الفلاسفة، وأن وسائل الإرشاد النفسي هي أكثر جدوى للعلاج النفسي من الإرشاد الفلسفي. ولا ترى الجمعية الوطنية الأمريكية للإرشاد الفلسفي (NPCA) في الإرشاد الفلسفي بديلاً عن الإرشاد النفسي. وبناء على ذلك، فإنها تؤكد أن المستنصحين قد يتشاورون مع المرشد الفلسفي للمساعدة في استكشاف المشكلات التي تثير تساؤلات فلسفية مثل أزمات منتصف العمر، والتغيرات الوظيفية، وضغوط الحياة اليومية، ومعنى الحياة، والأخلاق. ورغم هذا، فإن كلاً من علماء النفس والفلاسفة لديهم اهتمام بحماية الضعفاء من خلال تشجيع التمثيل الذاتي الصادق. ويمثل الجدول الآتي الفروق بين الممارسة النفسية والفلسفية.

المتغيرات	المرشد النفسي	المرشد الفلسفي
الأسلوب	يعمل وفق طريقة (نظرية) معينة وشروط خاصة في تشخيص حالة المسترشد، ثم يحاول وضع الإرشاد المناسب وفقاً لذلك.	ليس لديه طريقة محددة، ونظرية أو أجوبة جاهزة. ولا يحاول عن طريق الإرشاد تطويع المستنصح.
المشكلة	يركز على المشكلة النفسية (حسب مبدأ الحتمية).	يركز على المشكلة الفلسفية، الوجودية، ويعتبر المستنصح ضحية أزمنة حياتية تتعلق بالحرية والمسؤولية والقيم
الأهداف	واضحة وفق خطة مرسومة مسبقاً.	غير واضحة في كثير من الأحيان، وإنما قائمة على العلاقة.
الخطوات	يركز على المشكلة والتشخيص، والعلاج، على اعتبار المشكلة هي نفسية.	يركز على الحوار مع العملاء بدلاً من تحليل المفاهيم والتفسير. والشفاء بعد ذلك يعد نتيجة لهذه العملية.
التشخيص	التشخيص الموضوعي.	يسعى إلى التشخيص الذاتي.
التدخل	من خلال التقنيات النفسية أو الدوائية.	يستخدم مفهوم معنى الحياة وعالم المستنصح من خلال التحليل والتفسير.
مشكلات المعالجة	الاضطرابات الدماغية والانفعالية أو السلوكية الشديدة	مشكلات الحياة العادية.
الشمولية والاختزال	الاختزال والتكيز على الأعراض المرضية.	أكثر شمولية في النظرة إلى الإنسان ومشكلاته
محاوَر التَركيز	دراسة المشاعر والانفعالات والأفكار والسلوكيات.	الإدراك دراسة الأفكار وكيف تؤثر على حياة الفرد
دور المرشد	نشط في العملية الإرشادية وخصوصاً في التوجيه المباشر	هناك تفاعل بين المرشد الفلسفي والمستنصح، وقد يكون للمستنصح دور نشط في العملية الإرشادية
التغيير	كيف يشعر المسترشد؟	الفهم أو الحقيقة هو الهدف
مفتاح التغيير	يكون في الماضي (حسب النظرية التحليلية)	الحاضر، وتحليل المشكلة الحالية
الجلسات	عدد الجلسات: قد يطول	قصيرة ومحدودة

ويرى بعض علماء النفس أن الإرشاد الفلسفي مجال واسع وغير واضح المعالم، بينما يرى آخرون أن الإرشاد الفلسفي هو أسلوب مأمون الجانب أو مكمل للعلاج النفسي، ووسيلة لملء فراغ الإرشاد النفسي. وتشير هذه الدلائل إلى أن هناك أدوراً واستراتيجيات مهمة يمكن أن يلعبها الإرشاد الفلسفي. لذلك، هناك حاجة إلى:

1- إضفاء الطابع المهني من خلال التدريب الرسمي للمعالجين الفلسفيين، حيث يعمل في الغالب - كما هو الحال في أوروبا والولايات المتحدة - في عيادات الأطباء النفسيين لاستكمال عمل الأطباء في معالجة العملاء.

2 - الإرشاد الشامل للأمراض لدى الإنسان يحتاج أحياناً إلى أسلوب تعاوني، ولا يمكن لهذين المجالين أن يكونا مستقلين عن بعضهما لما بينهما من عوامل مشتركة، ورؤية متكاملة في علاج العملاء.

3- يجب التأكيد على أن يكون هناك إقرار بأن الفلسفة هي أمر ضروري على اعتباره جانباً مهماً من مجالات تطبيق الفلسفة، وهذا من شأنه تمكين المبتدئين من فهم التفكير المنطقي الذي يقدم خلال المرحلة التمهيدية من التدريب.

4- الحاجة إلى المعرفة، والتقدير مثل هذه الجلسات، وخصوصاً التي تتعلق بفلسفة الدين، والانتروبولوجيا الفلسفية، والأخلاقيات، والتي من شأنها تمكين الممارسين من فهم طبيعة العمل الإكلينيكي.

5- المنهج التحليلي الموضوعي الواضح للأحداث والمواقف التي من شأنها أن تقدم للعميل.

6- التكاملية في الدراسات الشرقية والغربية التي تتعامل مع فلسفة الحياة والموت.

7- تقدير طرق تقييم الإرشاد الفلسفي.

وتأكيداً لما سبق، يشير فرانكل (Frankl,1974) إلى أنه عندما تسأل الأفراد عن السبب الذي من أجله يعيشون حياتهم، فإنهم سيجيبون بأنهم يعيشون من أجل الأطفال الذين يجب أن تستكمل تربيتهم، أو من أجل الصديق الذي يجب مساندته، أو من أجل العمل الذي ينبغي إنجازه، أو من أجل الحركة السياسية التي ينبغي أن تحظى بالتأييد، أو من أجل العمل الفني الذي لم يزل قيد التطوير. وكل هذه الإجابات يمكن إيجازها في جملة واحدة مؤداها أن هناك شخصاً ما أو شيئاً ما في حاجة إلى وجود. وهنا يكمن جوهر الإرشاد بالمعنى الذي يعلمنا أن غاية سعينا ينبغي أن تكون من أجل معنى يدوم ويعمق مغزاه حتى في أحلك ساعات المعاناة، وهذا ما حدث لفرانكل الذي جاهد ليبقى وينقل للبشرية خلاصة تجربته وسط ذلك القدر الهائل من العذاب البدني والنفسي. ومن هنا، تتبلور صورة معنى الحياة كما أرادها فرانكل في نظريته للمعنى؛ فالحياة بالنسبة لأي فرد ذات معنى تام وغير مشروط، يمكن تحقيقها بغير شرط أو قيد. وينبغي على الإنسان ألا يتوقف عن بلوغ هذا المعنى في كافة الأحوال والظروف. والمعنى الذي يقصده فرانكل ذاتي وموضوعي في آن واحد،

فهو ذاتي من حيث تناول الإنسان له، وموضوعي من حيث إن لكل شيء معناه الحقيقي الخاص به، ولأن المعنى لا يمنح، وإنما يلزم أن يلتصقه الإنسان ويسعى إليه، فإن هذا الالتماس، وهذا السعي لبلوغ المعنى يجب أن يكون في إطار من المسؤولية والالتزام، وسعيًا وراء التطور والابتكارية.

حدود الإرشاد الفلسفي:

يرى براون (Brown,2011,111) أن مصطلح الإرشاد يخضع لمجموعة من التفسيرات، والمعنى الأساسي يدل على مساره، ويقصد به علاج المرض أو العجز. أو حتى أن معانيه الراديكالية المعاصرة تفترض بعض الانحراف عن معايير الصحة النفسية الجيدة. لكن ثمة فرق وحدود بين الإرشاد النفسي التقليدي والإرشاد الفلسفي. فالإرشاد الفلسفي وحده ليس حلاً سحرياً لجميع الشكاوى الانفعالية، ويجب أن يضع الممارسون في اعتبارهم عدم تجاوز حدود خبراتهم المهنية. وينبغي أن يكون الممارس ماهراً ومسؤولاً، ولديه القدرة على الاعتراف عندما لا يكون قادراً على تقديم خدمة بناءة للآخرين. وقد أكد عدد من الكتاب أن مهنة الطب باتت جاهزة لتفسير جميع انحرافات الانفعالية وكذلك أعراض الاضطرابات البيولوجية.

ويمكن القول: إن أسباب الاهتمام بهذا هو أن مجموعة المشكلات النفسية تتم عن طريق تعاطي الأدوية، لاعتقاد الطبيب النفسي أن كل مشكلة لها مسار بيولوجي. ومع ذلك، يجب أن يكون الفلاسفة حذرين من وجود تحيز ذاتي للنظر إلى هذه المشكلة، وذلك من خلال رؤية نقدية صارمة لمعرفة وجهات النظر المختلفة لها، بحيث لا تفسر جميع الشكاوى الانفعالية على أنها عواقب لخطأ فلسفي. إذا لم تكن هناك قيود على الافتراض الضمني لمغالطات شرح الإجراءات غير المنطقية أو المعتقدات غير الواقعية. فالعديد من المفارقات المعرفية التي أظهرتها أفكار كل من Sacks, Damasio and Ramach-andran ترى أن المرض يمكن أن يفسر على أنه أعراض وهمية غريبة لوجهات النظر عامة- إذا تم استبعاد العوامل المتسببة في ذلك. إن المرشد الفلسفي لا يمكنه أن يساعد الأشخاص الذين يعانون من عيوب معرفية وظيفية شديدة، أو يعانون من اضطرابات نفسية شديدة، ويمكن أن يقوم بذلك المعالج النفسي لمساعدة هؤلاء المرضى، ودور المعالج الفلسفي يأتي قبل التدخل النفسي والطبي وبعده.

مبادئ الإرشاد الفلسفي:

وُصفت الممارسة الفلسفية كمجموعة من الطرق لعلاج مشكلات وأزمات البشر في حياتهم اليومية من خلال أساليب الفلسفية متعددة. وبالرغم من وجود مجموعة متنوعة من الأساليب، فإن المرشدين الفلسفيين يشتركون في المبادئ التالية:

1- الابتعاد عن الحكم الذاتي؛ 2. التباين بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي؛ 3. فعالية الإرشاد الفلسفي في حل المشكلات والأزمات التي يعاني منها الفرد. ويظهر الفحص الدقيق لهذه الإشكالية في المستويين النظري والعملي على حد سواء. كما يعتقد أن الممارسة الفلسفية هي مساهمة قيمة لكل من الفلسفة وعلم النفس، وإن لم تكن خالية من المخاطر وسوء الاستخدام المحتمل، لذلك ينبغي على المرشد الفلسفي إعادة النظر في صلاحية النظرية والممارسة لمعتقداته باستخدام تجربتي كمعالج فلسفي.

هناك اهتمام متزايد في هذه الأيام بالفلسفة كممارسة خارج جدران المؤسسات الأكاديمية على اعتبار أن الفلاسفة يُعدّون ذلك بمثابة تخصص غير مهني، إلا أن فوائد الربط بين الجوانب النظرية والعملية للفلسفة أضحت واقعا ملموساً ومطالبة مشروعة، فعمل "ميشيل فوكو، الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي (1926-1984) Michel Foucault" في الآونة الأخيرة حول "رعاية الذات ومعرفة الذات" *Caring for Oneself and Knowing Oneself* الذي يعد القلق الأساسي نتاجاً للأخلاقيات الكلاسيكية، ولكن هذا العمل هو جزء من مشروع لاستكشاف موضوعات حديثة، بدلاً من محاولة إظهار كيف يمكن للفلسفة أن تساعدنا على العيش برفاهية، ورضا عن الحياة؟ فهل لعبت الفلسفة دوراً مماثلاً للعلاج النفسي الحديث؟ وهل يمكن للحوار الفلسفي أن يساعدنا في العيش بطريقة أفضل، وهل يمكن استرداد هذا الدور للفلسفة بجانبه العملي في هذه الأيام، بحيث يُمكننا من مساعدة البشر على رعاية أنفسهم وعلاجهم من مشكلات متعددة تواجههم؟

إنّ التعليم عملية تقوم على الفرد والمؤسسة التعليمية على حد سواء، غايتها اكتساب المعرفة للنهوض بالتنمية البشرية، كما تُسهم المؤسسة التعليمية في تطوير الجوانب والحاجات الإنسانية المادية والروحية، باعتبارهما الدواء الشافي للعديد من مشكلات الإنسان في هذا العصر على المستوى الفردي والجماعي. والهدف الأساسي للتعليم كما يرى ماريتين (Maritain,1949) هو تنمية الفرد من خلال السيطرة على الدوافع الداخلية التي إذا ما فشلت في تحقيق أغراضها، حدّت أو عاقت تحقيق أهداف ثانوية أخرى للتعليم، مثل

الأهداف الاجتماعية. وتشير هذه الحقيقة، إلى أن عقول الأفراد يجب أن تتحرر كشرط مسبق لكسب الاستعداد المطلوب للمساهمة المجدية في تنمية المجتمع وغيرها من مجالات الحياة المختلفة. كما تعني، أن الهدف الأساسي للتعليم هو التأكيد أن كل العوامل التي تعوق العقل البشري ينبغي القضاء عليها، ودفعها إلى العمل بشكل صحيح، أو الاعتناء بها من خلال التعليم المناسب للعقل (Of the Mind).

فالعقل البشري يدرك تماماً الطرق أو الأساليب التي يمكن أن تؤدي إلى وجود مشكلة نفسية لدى البشر، ويمكن لتلك التوجهات أن تصل إلى العقل البشري لتشكيل خبرات ورؤى خاطئة للواقع، مثل: النوايا، التوقعات... الخ، وهكذا تصبح تلك الخبرات مؤذية للإنسان. فعن طريق الإرشاد الفلسفي يمكن أن يواجه البشر تلك المشكلات لتحرير العقل البشري من الاضطراب. وفي ضوء مثل هذه الحالات، هناك العديد من المجالات التخصصية التي تشكل قاعدة وأساساً للرعاية والإرشاد لمثل هذه المشكلات، مثل الطب النفسي، الإرشاد النفسي، والإرشاد الطبيعي، والتوجيه والإرشاد النفسي، وعلم النفس الإكلينيكي... الخ ومعظم هذه التخصصات تأخذ في الاعتبار القضايا التي تؤثر على الجوانب الوجدانية للبشر، وبالرغم من أهمية هذه التخصصات إلا أنها تتجاهل غالباً الجوانب المعرفية إلى حد ما. لذلك، فالعقل هو فقط أحد جوانب الإنسان المعرفية، كما أن موضوع الفلسفة هو للإنسان جملة وتفصيلاً، حيث تدرس البشر في أبعادهم المعرفية والأخلاقية والوجودية ككائنات بشرية معقدة، وذلك لفهم طبيعتهم وسماتهم وفضائلهم الأخلاقية. فقد واجه بعض البشر مشكلات وخبرات مؤلمة في حياتهم اليومية تجاوزت الجوانب الطبية والنفسية والجسدية، وذلك نتيجة لعدم فهم بعض المبادئ الأساسية لإدراك الواقع. ومثل هذه المشكلات لا يمكن للعلاجات القائمة في الميدان العلمي أن تكون كافية كلاً على حدة لمعالجة مثل هذه المشكلات، وبالتالي قد يحتاج الأمر إلى أساليب أو مناهج جديدة إضافية وذات توجه شمولي. والإرشاد أو العلاج الفلسفي هو النهج الذي يمكن أن يحاول سد تلك الفجوة المعرفية التي تخلت عنها كثير من الأساليب النفسية والطبية.

إنَّ السُّلوك الشائع لدى معظم المجتمعات والمؤسسات البشرية التقليدية هو معارضتها أي تغيير في بداياته؛ فعادة ما تكون تلك المؤسسات، القائمة على الأسلوب البيروقراطي وخصوصاً الأكاديمية منها، رافض لإدخال الأفكار الجديدة مثل الإرشاد الفلسفي كفرع أكاديمي، لذلك فإدخال الإرشاد الفلسفي في المناهج الدراسية الأكاديمية على سبيل المثال مهمة شاقة في ظل المؤسسات القائمة على النمط الأحادي أو الأسلوب البيروقراطي، على

اعتبار أن هناك نفوراً واضحاً من الفلسفة ومفاهيمها في العديد من مؤسسات التعليم العالي، لأنها في نظرهم سفسطة كلامية "لا تسمن ولا تغني من جوع" في هذا العالم المادي (البراجماتي) القائم على المنفعة المادية. هذا بالرغم من كونها ضرورة حتمية وأساسية للنمو الفكري والتنمية البشرية في كافة مجالات الحياة. هذا هو الواقع الصعب والتحدي الكبير الذي يواجهه الإرشاد الفلسفي في المجال الأكاديمي أمام التخصصات الموجودة بالفعل لحل قضايا مماثلة ومتابعتها. وهنا يطرح السؤال التالي: أين العقل والمنطق والموضوعية في عدم إشراك الإرشاد الفلسفي ضمن الممارسات الإرشادية الأخرى؟ إن الواقع المنطقي والأخلاقي لأسس تقديم الخدمات النفسية للأفراد يشير إلى أن العوامل المتدخلة في ظهور مشكلة ما لدى مريض نفسي كثيرة ومتعددة، منها العوامل البيولوجية، والاجتماعية، والنفسية، والبيئية، وحتى الفلسفية، مثل: معنى الحياة وهدفها، وسعادة الفرد، والشفقة... كما أن معظم النظريات الإرشادية النفسية، وحتى الطبية منها، قد اشتقت جذورها من الأطر النظرية والفكرية من مدارس فلسفية كما أشرنا إليها أعلاه. وقد يبدو هذا الأمر مقنعاً ومنطقياً لإشراك الفلسفة العملية ضمن خدمات الصحة النفسية، وذلك لملء الثغرة المعرفية والعملية في البحث عن المشكلات الكثيرة والمستمرة التي تواجه البشر في سياق أحداث الحياة المضطربة لتحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته ورضاه عن الحياة التي تستحق أن تعاش. ففي العصور القديمة تم علاج الأمراض النفسية من قبل الفلاسفة عن طريق علاج الانفعالات، والإرشادات الحديثة ما هي إلا تماثل نفسي للنظام الإرشادي القديم، أو ما يسمى "إدارة نمط أو أسلوب الحياة" Life Style أو "الطب الوقائي" Preventive Medicine. فقد ظهرت كتابات عن علاج المشاعر في فترات الإمبراطورية الإغريقية والرومانية. وعلى سبيل المثال، تحدث جالينوس عن فنية تجنب التوتر أو الضغوط، التي تؤخذ على أنها تمثل منهجاً أفلاطونياً -أرسطياً، وأفكار سينيكا في راحة البال التي تمثل أسلوب التحمل. وبالعودة إلى مثل هذه الأعمال التي تم تصميمها لتؤدي وظيفة نفسية ووقائية في الطب. ولنا أن نسأل هنا، ما إذا كانت هذه الأعمال تجسد أسلوباً نفسياً للرعاية الصحية، يمكن أن تجد لها مكاناً مفيداً في ظل ظروف العصر الراهن؟

الإجراءات العامة للممارسة الفلسفية:

يعتقد رايب (Raabe,2002) أن حياة البشر هي مسألة خبرة معقدة في عملية العيش في هذه الحياة، حيث واجهت العديد منهم مشكلات كثيرة، وتم حل بعضها بطريقة أو بأخرى من قبل المستنصحين أنفسهم، لكن بعض المشكلات أصبحت حقائق لحلول معقدة، وربما

أظهرت نتائج متضاربة ومتناقضة. ويصبح المنطق عند هؤلاء البشر ضعيفاً ومضطرباً بشكل واضح، وفي مثل هذه الحالات تصبح الخدمات التي يقدمها المرشد الفلسفي مقنعة لدرجة مقبولة، وهذا هو السبب في أن الإرشاد الفلسفي هو عملية مساعدة الفرد لإحداث صفة تفاهم مع المشكلة التي تبعث على القلق لدى الفرد. ويرى "راي" أن "صراع القيم" Conflict Values في كثير من الأحيان يؤثر على تفكير الفرد وسلوكه بطريقة مؤلمة جداً. ومن خلال عملية التفاعل الفلسفي مع الفرد يتحقق تقدير جيد من القيمة الذاتية لمعنى الحياة ومشكلاتها، مما يساعد المريض أو المستنصح (Counselee) على رؤية واضحة لبعض القضايا الأساسية المتعلقة بقيمة معينة من قيم الحياة النبيلة، وبالتالي التوصل إلى حلول لمشكلاته، وهذا هو أحد الأدوار الرئيسية لتقديم الإرشاد الفلسفي. بينما أشار (Gowan,2010) إلى أن الإرشاد الفلسفي هو مماثل لتلقي الإرشاد الطبي، لأنه قادر بشكل مهم على تعديل معتقدات الفرد أو المستنصح بحيث يمكنه من التغلب على المرض النفسي وتحقيق الصحة النفسية، وللتقاليد البوذية والفلسفة الهلنستية أسلوب مماثل في الطب للتعامل مع بعض مشكلات العقل والروح للكائن البشري.

وتنطوي ممارسة الإرشاد الفلسفي على العلاقة الفاعلية بين الفيلسوف المرشد والمستنصح، القائمة على التقبل والاحترام، والبعيدة عن التحيزات والأحكام الذاتية من جانب المرشد، وذلك لكي يكون قادراً على رؤية ما يحدث، وكيفية حدوث الأشياء في نفسه بشفافية في المقام الأول، وإدراك هذه المواقف الصعبة التي تقع للآخرين أيضاً. (روجرز التقبل، الشفافية، التعاطف الانفعالي). وتمشياً مع أفكار سقراط، فإن هذا يعكس الجواب على معنى الحياة الخاصة بالمستنصح، ويتم ذلك من خلال عملية الإصغاء الفعال للعميل في كل ما يقوله.

ومن أجل فهم ممارسة الإرشاد الفلسفي في علاقته بالمجال الكامل للفلسفة، فإن فهم المرشد الفلسفي سوف يكون ضرورياً للممارسة ووصف أسلوبه بطريقة واضحة، على اعتبار أن فكرة الفلسفة هي مجموعة من المعارف التي يمكن استخدامها بالفعل في حياتنا اليومية، هي أولاً وقبل كل شيء وسيلة حكيمة للعيش. وهذا الأمر، يمكن أن نجده عند فلاسفة اليونان القدامى، وفلاسفة العصر الحالي على حد سواء، وذلك من خلال:

أ- النظر إلى حجج العملاء ومبرراتهم.

ب - الإيضاح والتحليل، وتعريف المصطلحات والمفاهيم المهمة.

ج - عرض وفحص الافتراضات الكامنة والآثار المنطقية.

د- عرض التناقضات والصراعات.

هـ - استكشاف النظريات الفلسفية وأهميتها في قضايا العمل.

و- جمع الأنشطة ذات الصلة التي تم تحديدها على أنها تملك بعداً فلسفياً.

وقد تختلف أساليب وتوجهات المرشدين الفلسفيين اختلافاً كبيراً؛ فبعض الممارسين، أمثال: جيرد آخينباخ، وشوستر يرون أن الحوار الجدلي يسهم بشكل كبير (وراء الأسلوب) في العملية الإرشادية، وأن عقد الإرشاد الفلسفي يهدف إلى تمكين القدرات الفلسفية للمستصح التي يمكن أن تكون لها آثار علاجية إضافية، وأن عرض وتوجيه منحى الإرشاد الفلسفي يُمثل شكلاً من أشكال التدخل الإرشادي. بينما أشار "مارينوف" إلى أن عرض الممارسة الفلسفية كمنطقة منفصلة ومتميزة عن ممارسات الصحة النفسية، مثل الإرشاد في علم النفس كوسيلة للتدخل في مشكلات الصحة النفسية. بينما يرى آخرون أن هناك تفاعلاً وتكاملاً بين الإرشاد النفسي والإرشاد الفلسفي. واستلهم بعض المرشدين الفلسفيين حركة علم النفس الإيجابي، تلك الحركة المناهضة للطب النفسي في الإرشاد، بحجة أن معايير تشخيص الصحة النفسية على النحو المبين في (DSM) 5 بإصداراته العديدة من عام (1978)، وحتى الإصدار الأخير (DSM-5) لعام (2012) غير دقيقة من الناحية الإنسانية. بينما وصف كوهين ومارينوف تقنيات الإرشاد الفلسفي بأنه يمكن فهمها بسهولة، لأنها قائمة على المنطق، وخصوصاً التطبيقات الإرشادية لنظرية العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي (REBT) Rational Motive Behavior Therapy لـ ألبرت إيس.

وقد حددت الجمعية الوطنية الأمريكية للإرشاد الفلسفي (ASPCP) المعايير الرئيسية لممارسة الأنشطة المهنية الرئيسية من أجل توظيف المرشد الفلسفي لممارساته التي تختلف عن نظرية وأساليب التوجه النفسي، من حيث اعتماد هذه المعايير على التحليلية، أو الظواهر الوجودية التي تسهل هذه الأنشطة. ومع ذلك، هناك ثلاث طرائق تميز عمل المرشد الفلسفي عن الممارس النفسي: أولاً: بحكم تدريبهم الواسع على منهج أفلاطون Plato وأرسطو Aristotle، سانت توماس St. Thomas، لوك، Locke، هيوم، Hume، كانط Kant ونيتشه، Nietzsche هايدغر Heidegger.

⁵ - DSM: الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية الذي تصدره الجمعية الأمريكية للطب النفسي.

وثانياً: الممارس الفلسفي بناء على ذلك، يميل إلى استخدام مجموعة متنوعة من الأفكار كأدوات علاجية لمساعدة العملاء للبدء في التعامل مع مشكلاتهم. وهذا يتجاوز تطبيق الطرائق النفسية التي تكون قائمة على النظرية الفلسفية. فعلى سبيل المثال، أن العلاج العقلاني الانفعالي يلتزم بتعاليم أبكتيتوس Epictetus' teachings حول توقع العملاء التمييز بين اعتقاداتهم غير العقلانية حول الحدث (مثلاً، يعتقد أن ما حدث كان فظيماً، رهيباً) والحدث نفسه (ويقول في حالة انفصال أو طلاق)، وغالباً ما يجلب المرشد الفلسفي الأفكار الفلسفية الأخرى لدمجها في ظروف المستنصح ومعضلاته. وثالثاً: يستخدم التحليل المنطقي أو العلاج القائم على المنطق لتنفيذ مشكلات المستنصح، ومساعدته على الاستبصار بها ضمن علاقة متبادلة بين المرشد الفلسفي والمستنصح قائمة على التقبل والتقدير، مع الأخذ في الاعتبار الإطار المرجعي الداخلي للمستنصح في اتخاذ قراراته وصياغة حلول لمشكلاته.

مهام المرشد الفلسفي:

تتطلب مشاركة المرشد الفلسفي مع المستنصحين الاختبارات العلمية التقليدية لتشخيص مشكلاتهم، أو استخدام وصفة طبية (دوائية) خاصة كما هو الحال في حالات النفسية المرضية. ويرى شوستر (Schuster, 1999) أن المهام التي يقوم بها المرشد الفلسفي تختلف عن مهام المعالجين في المجالات العلاجية الأخرى (الطبية والنفسية)، إنه يتعامل - في كثير من الأحيان - مع الناس الذين يسعون إلى سلامة العقل الحكيم، ومع الناس الذين يعيشون في ظروف صحية نفسية طبيعية. بمعنى، أنهم غير مرضى، أو يعانون من اضطرابات نفسية خطيرة كالفصام مثلاً. من هذا يرى مارينوف (Marinoff, 2003) أن العلاقة بين المرشد الفلسفي والمستنصح هي علاقة قائمة على علاج العاقل. Therapy for the sane تتم في جلسات إرشادية قصيرة جداً، يساعد فيها المرشد المستنصح على التفكير بشكل أكثر وضوحاً عن مشكلاته من خلال الأفكار الفلسفية. وبالتالي فإن العلاقة بين المرشد والمستنصح في الإرشاد الفلسفية هي علاقة ودية قائمة على التقبل والاحترام، والتي تشبه العلاقة بين المعالج النفسي والمريض. كذلك تركز العلاقة على الدور الفاعل والإيجابي للمستنصح في العملية الإرشادية، إضافة إلى دوره أو تحقيقه الذاتي Self-inquiry في نجاح التدخل العلاجي.

وفقاً لـ مارينوف (Marinoff, 1999) يتعامل المرشد الفلسفي مع الشخص العاقل أي العلاج للعاقل Therapy of the sane، وهذا هو السبب في إصدار كتابه "أفلاطون" بدلاً من "بروزاك". بينما يرى لالش (2005) أن المرشد الفلسفي يتعامل مع العملاء الذين يعانون نوعاً من "الشقاء في نسيج حياتهم"، الشقاء الذي سبب في أنفسهم - حتى من دون أن يكون

محدد المنشأ أو حتى نفي وجود مثل هذه الفكرة، وربما حتى في بعض الحالات اتهام الآخرين بالتسبب في مثل ذلك. بالتالي البحث عن الحل في المكان الخطأ، ويستتبع ذلك الشعور بالعجز، واليأس بأن يكونوا غير راضين عن حياتهم. في ضوء ذلك، تبدأ الحياة بالاستجواب من قبل الفرد، هل الحياة لها قيمة؟ أو قيمة الحياة: كيف يمكن تميمها؟ ما هي السعادة؟ هذه المشكلات النفسية الضاغطة قد تُحرم المستنصح من الحرية الروحية الحقيقية. وبناء على ذلك، يسعى المستنصحون إلى الإرشاد الفلسفي لاستعادة الرضا والسعادة المفقودة في حياتهم.

وقد أعطى رابي (2002) رأياً آخر لأولئك الذين يأتون إلى المرشد الفلسفي للحصول على النصيحة، وهم الذين وقعوا في مفترق طرق يهدد أفكارهم، وصورتهم السلبية تجاه الذات، أو الذين يَمرون بأزمة منتصف العمر أو مرحلة الشيخوخة. مثل هؤلاء الناس يعانون من أزمة حول فهم الحياة ومعانيها والتي تكون مدمرة في كثير من الحالات. وقد قدم "روزنر" (2004) في وقت لاحق مثالين من ذوي الحالات لأزمة منتصف العمر. شخص يقترب من سن (50 عاماً، وشعوره أن حياته هي أكثر من النصف في حين أنه يشعر بعدم اكتمال كل ما يريد، وبالتالي فهو غير متأكد من النصف المتبقي من حياته، وشخص آخر على افتراض أن متوسط عمره هو (100) عام، قد أنجز بالفعل الأهداف التي حددها لنفسه، ولكن لا يزال يجد في نفسه شعوراً لم يتم الوفاء به، وبالتالي فهو يبدأ بسؤال نفسه، إذًا هذا هو كل ما هنالك؟. هذه هي الأزمات التي يواجهها الناس؛ فبعضها قد يكون كامناً، وغير واضح المعالم في حين أن بعضها الآخر واضح المعالم. واستنتج رابي من هذا المثال، أن هذه القضايا ليست قضايا واضحة كدليل تشخيصي للاضطرابات النفسية أو العقلية، وإنما هي قضايا تتعلق بالمفاهيم الخاطئة حول معنى الحياة، بل إنها قضايا واضحة للأسئلة الوجودية ذات الصلة بالأولويات ومعنى الحياة.

وهذه هي الحالات التي ينبغي على المرشد الفلسفي التدرب عليها لفهم حالة الإنسان الذي يتردد عليه. فتعامل المرشد الفلسفي مع المثال السابق، يمكنه أن يشارك مع مستنصحه حواراً تفاعلياً لتقدير القضية المقلقة بأكملها، من خلال تهيئة أفكار المستنصح الانفعالية، وتقديم أفضل التوصيات والحلول المناسبة له، ومساعدته على فهم أفضل لدوافع حياته وتوجهاته من أجل تقدير نفسه بشكل أفضل في عالمه الخاص. وهناك مهام عدة يقوم بها المرشد الفلسفي في التعامل مع المستنصحين - كما أشرنا لبعضها أعلاه - وأمور تقع خارج نطاق عمله، وأهم الأمور التي يقوم بها، والمشكلات التي تواجهه، هي:

أ - التعامل مع الأشخاص الذين يعانون نوعاً من التمزق في نسيج حياتهم والذي يسبب لهم الشعور بالعجز واليأس، كذلك يشمل العملاء الذين يفتقرون إلى القناعة والسعادة.

ب - الأشخاص الذين وقعوا على مفترق الطريق الذي يهدد الأفكار التي تتعلق بالانتقال من مرحلة الرشد إلى مرحلة الشيخوخة.

ج - أن يكون على دراية بمعالجة القضايا المتعلقة بالتكنولوجيا البيولوجية الالكترونية (فلسفة التكنولوجيا) عند التعامل مع القضايا التي تتعلق بتقدم العمر، والخوف من تنامي بعض الاحتمالات التي تواجه الإنسان. وهذه الحاجات تعد من المتطلبات الأساسية قبل البدء بالخبرة الإكلينيكية الفلسفية.

د- مشكلات أحداث الحياة الضاغطة التي تحتاج إلى تفسير فلسفي لمعنى الحياة وقيمتها.
هـ- مشكلات المعتقدات والخرافات، والترمل وعدم الإنجاب، والتفكير الديني الخاطيء، وتحرير الذات الداخلية.

و- حل الصراعات المتعلقة بالقيم (Rosner,2004).

أما الأمور التي لا يقوم بها المرشد الفلسفي، فهي الآتية:

أ- لا يشارك في القضايا التي تتعلق بتطبيق الاختبارات النفسية التي تسعى إلى تشخيص مشكلة المستنصح.

ب - لا يستخدم وصفات طبية أو دواءً خاصاً كما في حالات الأمراض النفسية التي يقدمها الطبيب النفسي للمتعالجين.

ج - التعامل مع الأصحاء وليس المرضى، أي الذين لديهم بصيرة وبقظة عقلية.

وعلاوة على ذلك كله، يرى الشاوي (Al-Shawi, 2004) أن من الأمور التي يجب أن يتمتع بها المرشد الفلسفي هي درجة الشجاعة في أثناء اللقاء الحوارية مع المستنصح، وهي مطلب لكل من المستنصح والمرشد لتحديد إحضار القضايا موضوع النقاش، وذلك بدءاً من تصنيف أشكال مختلفة من الشجاعة، والانتقال إلى تعريف الإرشاد الفلسفي كعملية نقد بناء، لأنه لا توجد عملية إرشادية دون شجاعة فلسفية، وأن نتائج الحوار الفلسفي المكتسب لا يعتمد فقط على الشجاعة الفلسفية للمستنصح، بل تعتمد على المرشد الفلسفي أيضاً، والتي يجب أن تتطابق على الأقل مع شجاعة المستنصح. بالإضافة إلى متطلبات التعاطف، والصدق، والاحترام الإيجابي، ويرجع ذلك كله إلى قدرة المرشد الفلسفي على فهم مشكلات مستنصحه بنجاح. كما يجب عليه أن يكون مؤهلاً ومدرباً تدريباً جيداً لتقديم الخدمات

بفعالية عالية (هناك العديد من الدورات تجريها الجمعية الأمريكية للإرشاد الفلسفي والذي ينبغي على كل مرشد فلسفي اتباعها، وأخذ ترخيص بممارسة هذه المهنة)، وأن يكون قادراً على إجراء تفاعل حوارى للدخول في مشكلة المستنصح، بهدف تقديم التوصيات والحلول المناسبة للمستنصح. ووفقاً لـ (Rvban,2008) يمكن أن يطبق المرشد الفلسفي الخبرات المتناقضة في المفاهيم التي يملكها المستنصح داخل شخصيته بلغة بسيطة ومفهومة وواضحة، وعلى المرشد أيضاً أن يُطلق العنان لأفكار المستنصح لأن تتحرك إلى مستوى الوعي، وبالتالي مساعدته على فهم دوافعه وقيمه وتوجيهه نحو رؤية نفسه وعامله الخارجي ببصيرة واعية وعلى نحو أفضل.

المشكلات التي يثيرها الإرشاد الفلسفي:

أشرنا فيما سبق أن المرشد الفلسفي ينبغي أن يتبنى ثلاثة مبادئ للممارسة الفلسفية: 1- أن يكون المسترشد مستقلاً ذاتياً. 2- أن يكون على وعي بأن الإرشاد الفلسفي يختلف عن الإرشاد النفسي، 3- أن يكون مؤمناً بأن الإرشاد الفلسفي مفيد في حل الأزمات لدى البشر. وإذا لم يكن متبنياً هذه الآراء، دارساً لها دراسة نقدية، فإن ذلك سوف يوقعه في إشكالية على المستويين النظري والعملي على حد سواء. فالمرشد الفلسفي هو غالباً شخص مستقل ذاتياً، وقد يخدم هذا غرض تحريره من مسؤولية ثقيلة تجاه المسترشدين.

فالإرشاد الفلسفي فعّال ويخدم الغرض الذي يقدمه الإرشاد النفسي نفسه، حيث يساعد على تلبية توقعات المسترشد لحل أزمته الشخصية. فمعظم المسترشدين لا يأتون إلى الفلاسفة من أجل سيرتهم الذاتية، بل لاكتشاف فهم أفضل للعالم كوسيلة لحياة أكثر ثراء. هذه الحقيقة، قد تكون هدافاً مشروعة وجديرة بالاهتمام للإرشاد الفلسفي.

ونحن لا نعرف حتى الآن أن بعض الناس يأتون إلى الإرشاد الفلسفي من أجل حل بعض المشكلات، إلا بعد خضوعهم للإرشاد النفسي فيما يتعلق بهذه المشكلة أو خلافها، رغم أن متطلبات الإرشاد الفلسفي لا تتوافق غالباً مع احتياجات العملاء في السياق الاجتماعي الحالي الذي يعمل فيه الإرشاد الفلسفي. ويرى أمير (Amir,1995) أن ما يقوم به المرشدون الفلسفيون لا يتوافق مع احتياجات المستنصحين، وبالتالي فإن محاولة تأسيس الإرشاد الفلسفي كمهنة مشروعة مع الأخذ بالاعتبار الهيمنة النفسية السائدة من قبل المرشدين والمعالجين النفسيين، قد تسهم في دفع عملية الإرشاد الفلسفي كطريقة مرحب بها في الأوساط الاجتماعية الغربية لتقديم خدمات ذات فائدة ومنفعة كبيرة للناس، وربما أكثر من

الخدمات التي تقدمها الإرشادات النفسية التقليدية. ورغم هذه الأهمية للإرشاد الفلسفي، فإن ثمة مجموعة من القيود التي خلقت عدداً من الآراء. ومع ذلك، فالمبادئ المذكورة أعلاه، هي القواسم المشتركة التي ولدت الالتباسات النظرية والعملية للممارسة الفلسفية. لأننا نعتقد أن الممارسة الفلسفية يمكن أن تقدّم مساهمة قيّمة لكل من الفلسفة وعلم النفس، وأن المرشدين الفلسفيين يحاولون أن يكونوا أكثر أهمية بتبني معتقداتهم .

وهناك اهتمام كبير في حركة الإرشاد الفلسفي من خلال التركيز على احترام استقلالية المستنصح، فما هو المقصود بذلك؟ يتّضح الجواب عبر التمعن في وجهات النظر التالية: "يجب على المرشد الفلسفي تجنب قدر الإمكان فرض وجهات نظره الخاصة على المستنصحين Counselees، وأن يضع رأيه الشخصي أو أحكامه المسبقة جانباً، بحيث يُمكن المستنصحين من اتخاذ قراراتهم بأنفسهم، حتى لو كانت هذه القرارات تتعارض مع اعتقاداته الخاصة ." ويتم ذلك من خلال الإجراءات التالية:

1 - التركيز على استقلالية المستنصحين في تفسير وتقييم أنفسهم بأنفسهم. في هذا المعنى، يقترح "أمير" وصف الإرشاد الفلسفي بأنه "مساعدة الشخص على توضيح قيمه ورؤيته حول عالمه بصورة مستقلة عن المرشد.

2- المرشد الفلسفي الذي يعتمد إلى بيان ما يريد لجعل استخدام العقائد الفلسفية في ممارسته الفلسفية بناء على ممارسة "شوبنهاور" Schopenhauer-Practice، تكون ممارسته للإرشاد هذه محرّجة له.

3- هناك عدد قليل من المرشدين يشعرون بالدعوة إلى طرق معينة في تقديم الإرشاد. على سبيل المثال، تعتقد باربرا نورمان Barbara Norman في تطوير علاقة مع المسترشد أكثر شمولية، على عكس الطرق المعرفية التي تجعل المستنصح يقاوم العملية الإرشادية.

4- استخدم LeksTijssse Klassen المخطط المفاهيمي، لإيمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas استناداً إلى مفهوم الشعور بالذنب، كأداة لفهم المشكلات الشخصية للمستنصح. ومن المرجح أن تكون اعتقادات المرشد الفلسفية مشبوهة، لأنها تشترك في موقف أبوي، وهو ما يرفضه الفلاسفة جملة وتفصيلاً، حيث يتم التعبير عن هذا الموقف في الافتراضات التالية:

أنا أعلم- حين كنت لا تعرف ما هو الخطأ الذي حدث لك (لديّ تشخيص)، كيف تشعر وتتصرف (أنا أقدر وجهة النظر تجاه الحياة الطبيعية) والطريقة للوصول إلى هناك (لديّ

علاج). ثق بيّ، وأنا سوف أعالجك. إذا كنت تثق بيّ، ربما أستطيع أن أعالجك، وبدون ثقتمك، فلا يمكن ذلك.

بالرغم من أن الإرشاد بالتحليل النفسي مرتبط، تقليدياً، مع الأبوية، وهو أمر ليس صحيحاً بالنسبة إلى جميع المرشدين والمدارس النفسية الأخرى. ذلك، أنّ بعضها يكون متأثراً بالأخلاقيات الكلاسيكية الفردية التي وضعت أصلاً من قبل "كانط Kant"، وترى مثل هذا الحالات الأخلاقية أنّ الفرد هو مصدر الحكم الأخلاقي للفرد، وبالتالي يتحمل وحده المسؤولية عن كل تصرفاته. وتشير دراسات كثيرة إلى أنّ الحكم الذاتي للفرد يكثر في التخصصات الطبية والنفسية.

في الواقع، اتسمت مسألة الحكم الذاتي باعتباره واحداً من المشكلات الأكثر أهمية في تاريخ الأخلاق النفسية (تركيب غير تام). ومن هنا، فالأمر متروك لتفسير الأخلاق الكلاسيكية الفردية، أي، للرأي القائل بأن الفرد حر، وبالتالي فهو مسؤول عن تصرفاته، بطريقة مناسبة لسياقنا الثقافي. إنها ليست سوى وجهة النظر الوجودية في الحكم الذاتي. ومع ذلك، فالاستقلالية الذاتية في الإرشاد الفلسفي قد تكون مرتبطة مع قضايا عقلية مختلفة. على سبيل المثال، يمكن أن يفهم مبدأ استقلالية المستنصح وفق المفاهيم السقراطية؛ فالجميع إذن يمكن (وصفي)، وينبغي (توجيهي) للتفكير في نفسي، والسعي إلى أن أكون أكثر عقلانية. سواء في تفسيري الوجودي، أو بمعنى ما على النحو الذي تناادي به النظم الفلسفية التقليدية الأخرى للاستقلال الذاتي للفرد، مثل سبينوزا Spinoza أو نيتشه Nietzsche على اعتبار أن هدف الإرشاد الفلسفي نادراً ما يتحقق.

ومن المحتمل في الممارسة العملية، أن يكون معظم المستنصحين أكثر اتكالية ومغاييرين بالنسبة لأشخاص مستقلين تماماً، وليس من المرجح أن يأتي إلى الإرشاد الفلسفي معظم المستنصحين. وعلاوة على ذلك، فإن معظمهم ليس من المرجح أن يعلنوا هدفهم الخاص من الإرشاد، كونهم مستقلين ذاتياً. بدلاً من ذلك، فإنه عادة ما يأتي المستنصح إلى الإرشاد الفلسفي لحل مشكلة معينة في أسرع وقت ممكن. وهناك أوقات، ومع ذلك، عندما يأتي المستنصحوون إلى الإرشاد النفسي عادة ما يصرّون على استقلاليتهم. هذا التأكيد الصريح يتحول أحياناً في دورات لاحقة لتكون شيئاً مختلفاً تماماً: فقد تكون لدى المستنصح الرغبة أو عدم الرغبة في تغيير سلوكه أو رأيه حول المسألة المقلقة له، في حين إنه يصرّ على الحصول على تعليمات المرشد لحل المأزق الذي يعاني منه (Amir, 2003, 36-41). وفي أحيان أخرى، قد يكون المستنصح أكثر اتكالية، فيسعى لاستخلاص آراء المرشد أو طلب مشورته بشكل صريح.

يبدو من ذلك، أن الاستقلالية الذاتية هي هدف الفيلسوف، وقد لا يشاطره فيها معظم المستنصحين. لذا ينبغي على المرشد الفلسفي التمييز بين توقعاته الخاصة وتوقعات المستنصح (Amir,2004).

وتنعكس مشكلة ترسيم الحدود بين الإرشاد النفسي والفلسفي على المستوى النظري في الممارسة. حيث يتم استخدام المعرفة والخبرة النفسية باعتبارهما جزءاً محدداً من الإرشاد الفلسفي، وتنوير الطريق للمرشد الفلسفي من خلال معرفته الفلسفية، ومساعدة المستنصح في الخيارات التي تجعله يثق بها. وأود أن أشرح هذه النقطة مع أمثلة من الأدب، ومن خبرتي الخاصة كمرشد فلسفي كما يقول رايب، فقد رفضت قبول تقديم الإرشاد لامرأة أعطتني تفاصيل كافية عن حالتها النفسية لدرجة أنني يمكنني تشخيصها بالكتابة. وقالت إنها كانت تتردد على عيادة المرشد النفسي، وتتناول الدواء لمدة خمسة عشر عاماً، وصرحت بأنه لم يساعدها. وبالرغم من أنني أعتقد أن الإرشاد الفلسفي قد يكون مفيداً في هذه الحالة، فإنني لم أقبل أن تكون مستنصحة لي، لأنني كنت خائفاً من أن تنتهي إلى الانتحار، وقد اتخذت قراري فقط لأسباب نفسية (Amir,2012).

وتقودنا هذه الاعتبارات إلى العواقب الضارة المحتملة للممارسة الفلسفية على وجه الخصوص والفلسفة بشكل عام. وقد تم بالفعل تسجيل أدلة عن الآثار الضارة للممارسة الفلسفية في الأدب. ويصف شلوميت شوستر Shlomit Schuster الممارسة الضارة بالقول: بالرغم من أن التفكير يصبح أكثر وضوحاً في الإرشاد الفلسفي، إلا أنه يمكن أن تصبح الحالات أكثر تعقيداً، مما قد يسبب أذى للمستنصحين. ويلخص بإيجاز هذه النقطة من خلال كتابه "الرغبات الفلسفية" يمكن أن تختلف عن الرغبات الإرشادية". ولعل الميزة الرئيسية لتقديم الإرشاد الفلسفي هي وصول المستنصح إلى الإرشاد دون وساطة، إذ، إن طبيعة الإرشاد الفلسفي هو إرشاد غير مباشر، وقبول المرشد الفلسفي للمستنصح دون قيد أو شرط، وبالتالي، فإن هذه الشروط تساعد في التقليل من الآثار الضارة التي تصاحب الإرشاد النفسي في حالات كثيرة، على اعتبار أن المستنصح يتحمل الجزء الأكبر من نتائج هذا الإرشاد نتيجة لاستقلاله الذاتي.

فعلى المستوى النظري، ينبغي التشديد على أساس النظرية الفلسفية الفعّالة التي لا تقل عن وصف الآثار التجريبية. فالفلاسفة ينبغي أن يعرفوا ما يريدون أن يعرفوه عن المستنصح، وأن يعرفوا ما العلاقة بين المعتقدات وسلوكه وانفعالاته. كما ينبغي التأكد من ذلك من خلال الحوار العام مع المستنصح. وعلى المستوى العملي، ينبغي للمرشد الفلسفي عدم تجاهل

توقعات المستنصح لحل محنته. وهناك طريقة واحدة للتعامل مع هذا التوقع هو جعل الإشكالية الفلسفية فعالة وصریحة، فضلاً عن الآثار الضارة المحتملة له. وهناك طريقتان على الأقل من الطرق البديلة الأخرى لتوجيه المرشد الفلسفي لتوقعات المستنصح لحل مشكلاته الشخصية:

أ - القول على الفور أن المرشد لا يمكن حلها.

ب - تقويض حاجة المسترشد لحل محنته بكلماته.

بدلاً من سهولة الخدمات والاحتياجات المقدمة للإرشاد الفلسفي، ينبغي أن تكون الممارسة الفلسفية ناقدة وأكثر شمولاً. بمعنى، وضع هذه الاحتياجات في سؤال، لا قبول الحاجة كما هي، وأن يكون الهدف منها هو فحصها من أجل تطوير الممارسة الفلسفية وتنمية الاحتياجات، وليس فقط الرضا عنها. ومع ذلك، فإن المرشد الفلسفي لا يعتقد أن الفلسفة هي فعالة إلى حد ما في حل المأزق الشخصي لدى المستنصح، بل ينبغي أن يشارك كل معتقداته وشكوكه، وهذه وسيلة ملموسة لمعالجة الموقف الأبوي الذي يبدو أنه يثير انزعاجاً للمرشد الفلسفي. كما أن المبادئ الثلاثة التي تم التطرق إليها أعلاه تشكل أساس الزعم اللازم للممارسة الفلسفية، والتي هي بحد ذاتها إشكالية تحتاج إلى معالجة منطقية حتى يمكن الاستفادة من هذا الإرشاد بشكل فعال تقود نحو عملية التغيير المنشودة.

المقاربة بين الإرشاد الفلسفي والنفسي:

يعتقد العديد من الفلاسفة أن الإرشاد الفلسفي هو مجال مميز مستقل من الناحية العملية، في حين يؤكد العديد من علماء النفس والمعالجين النفسيين أن الفلاسفة ينحصر دورهم التقليدي كمعلمين ومنظرين، وينبغي عدم توريثهم في محاولة استخدام الفلسفة لمساعدة الآخرين في حل مشكلاتهم الانفعالية والسلوكية أو المشكلات المعرفية. لأن هذه المشكلات تقع ضمن اهتمام الممارسين في علم النفس على اختلاف توجهاتهم النظرية والتطبيقية، وعلى الفلاسفة ترك هذه المجالات لعلماء النفس، على اعتبار أن الممارسة الفلسفية تقع خارج الدعم التجريبي المنهجي، وأن مركز اهتمامهم يقع في المجالات الاجتماعية والفصول الدراسية الأكاديمية والتحليل اللغوي Liguistic analysis، من حيث تقييم الأشياء بأنها جيدة أو سيئة. ولكن المفارقة أيضاً لتوفير علم مبني على خطة علاجية آمنة للأشخاص الذين يعانون من اضطرابات مزاجية، وقلق وذهان أو مرض عقلي.

ويميل الجدل بين علم النفس والفلسفة لخلق حاجز بينهما عندما يتعلق الأمر بمسألة من هو المؤهل للممارسة الإرشادية، تبعاً لذلك، فإن الهدف هو المساعدة على خلق حوار مفتوح، واستكشاف العلاقة بين هذين المجالين على مستوى التطبيق العملي، وما يمكن تعلمه من الآخر. فالعلامة الفارقة لذلك التعاون بين علم النفس والفلسفة في ذلك هي ما قامت به الجمعية الوطنية الأمريكية للإرشاد الفلسفي (NPCA) عام (1990) التي أكدت على هذه التشاركية بهذا الحوار بين الممارسة الفلسفية والنفسية (Samuel,2013).

ورغم هذا التلاقي بين الفلسفة وعلم النفس في الممارسة الإرشادية، فإن الإرشاد الفلسفي كما يرى "مارينوف" ليس بديلاً مجدٍ لعلاج الأمراض النفسية في الوقت الحاضر. ومع ذلك، فإنه قد يساعد بعض الأفراد أو الجماعات ليس إلا. لتوضيح ما إذا كان الإرشاد الفلسفي قد يفيد شخصاً ما في مشكلة معينة. فالمرشدون النفسيون والعملاء يحتاجون إلى تقييم دقيق من طرف المرشد الفلسفي (APA,2012)، وهذا يتطلب منه لكي يقوم بدوره الطبيعي في العملية الإرشادية، امتلاك الأسس الضرورية من المعرفة الفلسفية والنفسية لوضع حجر الأساس في الممارسة الفلسفية، مثل التواصل الصادق بينه وبين المستنصح، الذي لا يعتمد عموماً على أي طريقة معينة. إنه حوار حر، مشابه إلى حد ما لما وصفته بوبر Buber أنا-أنت. والمرشد الفلسفي يصبح مندمجاً في مشكلة مستنصحه متعايشاً معها على المستوى المعرفي والمنطقي من خلال أبعادها وأعراضها... الخ، ونقل هذا الإدراك والفهم، وعكسه بطريقة موضوعية، وهذا يساعد على منح المستنصح دفعة جديدة لشرح مشكلته وإدراكها بطريقته الخاصة. ونتيجة لذلك، فتقديم الإرشاد الفلسفي ليس حول الفلسفة العملية، كما وضعها "كانط" للنفس، وإنما هو التفلسف الإبداعي نفسه. وقد وضع مارينوف برنامجاً إرشادياً يستند إلى الفلسفة العملية في مواجهة مشكلات البشر، أطلق عليه اختصاراً "السلام" "PEACE" وهو مماثل لخطوات الإرشاد النفسي، والذي يتضمن خمس خطوات: "تحديد المشكلة" (P)، "والتعبير عن الانفعال (E)"، و"تحليل الخيارات (A)، والتأمل (C)، والتوازن (E)". وذلك كما يوضحه المخطط الآتي:

والغالبية العظمى من المرشدين الفلسفيين يركزون على أشكال مختلفة من الممارسة الفلسفة، ولكن ليس العلاج النفسي بالمعنى الحرفي. لكن مارينوف Marinoff لا يجد فرقاً بين الاثنين. وقال: إنه، ومع ذلك، توجد اختلافات بين الإرشاد الفلسفي، وتقديم الإرشاد النفسي، ولكن هذا لا يعوق مغامراته الخاصة في العلاج. ويعتبر مارينوف أن المراحل الثلاث الأولى من عملية السلام تعادل ما يتم في الإرشاد النفسي، وخصوصاً في المرحلتين الأخيرتين،

"التأمل" و"التوازن"، وأنَّ العلاج النفسي هو التعرف على مشكلة خاصة بالنسبة للشخص الذي يذهب إلى المعالج النفسي لمساعدته في الحد من المشكلة أو الاضطراب النفسي الذي يعاني منه، حيث يقوم المعالج بتشخيص هذه المشكلة وفق الآليات المتعارف عليها في التشخيص، وأخيراً تطبيق الاستراتيجيات المناسبة لحل هذه المشكلة، ويبدو أن هذا الإجراء من طرف المعالجين النفسيين لا يستند إلى المعرفة الكافية لفهم فلسفة المستنصح والمعضلات الوجودية ومنغصات الحياة التي أدت به إلى ظهور هذه المشكلة أو الاضطراب لديه. لذلك لا بد من ربط الممارسة العلاجية على المستوى النفسي والفلسفي إذا أردنا أن ننظر إلى المشكلة وعلاجها بمنظور شمولي، على اعتبار أن العلاج النفسي الفلسفي ليس شيئاً جديداً، فهو موجود منذ أكثر من نصف قرن. وطرق العلاج الوجودية تأكيد واضح لهذا التعاون بين الممارسة الفلسفية والنفسية لحل مشكلات الحياة اليومية (Schuster. 2005).

وللتحقق من هذه الرؤية التكاملية بين الإرشاد النفسي والفلسفي، قام بوبيسكو (Popescu, 2015) بدراسة فعالية العلاج المعرفي السلوكي والإرشاد الفلسفي لعدد من المرضى النفسيين الذين يعانون من مشكلات أخلاقية وقضايا وجودية، كقلق الوجودي، واكتئاب، ومخاوف وشكاوى جسمية، كالأم المزمن، والقرحة المعدية والمعوية، والعصاب القلبي وتوهم المرض وغيرها من الاضطرابات السيكوسوماتية Psychosomatic disorders، وذلك من خلال تطبيق برنامج يتضمن فنيات كل من العلاج المعرفي السلوكي والإرشاد الفلسفي، وقد استمرت الدراسة لمدة خمس سنوات، وأظهرت النتائج أن للإرشاد الفلسفي فعالية واضحة في تحسن بعض المرضى الذين يعانون من قضايا وجودية وأخلاقية، وهذا مما ساعد على خفض أعراض القلق والاكتئاب وغيرها من الأعراض النفسية.

وتؤكد هذه النتيجة أن المسائل الوجودية والمعضلات الأخلاقية تشكل جزءاً مهماً في عملية الإرشاد النفسي والفلسفي التي لا يمكن تجاهلها. ويعتمد نجاح العملية الإرشادية على ضمان أفضل الممارسات في المجال النفسي أو الإرشاد الفلسفي). كما أن للقضايا الوجودية أهمية قصوى في كلا النوعين من الممارسات، مثل: معنى الحياة والموت والحرية والعزلة، وهي قضايا جوهرية في حياة الإنسان وليست الموضوعات النفسية فقط هي محور الاهتمام. وهناك أيضاً العديد من المعضلات الأخلاقية والمعنوية التي يتعين حلها، على حد سواء في العلاج والإرشاد الفلسفي، وأنه من الأفضل للمعالج أن يكون له دور فاعل لا موقفاً محايداً في هذه العملية، وهناك حاجة إلى بحوث مستقبلية من أجل تقييم أهمية المعضلات والقضايا الأخلاقية في كل الممارسات العلاجية. كما أنه بحاجة إلى بحوث مستقبلية من أجل

التحقيق فيما إذا كان من الممكن تحقيق نتائج معينة في الإرشاد الفلسفي، مثل مستويات مرتفعة من رفاهية أو جودة الحياة، كما هو الحال في العلاج النفسي.

استنتاج وخاتمة:

الإرشاد الفلسفي، وما ينضوي تحت لوائه من ممارسات تطبيقية يعد ضرورة حتمية لعملائنا في الصحة النفسية شئنا أم أبينا، لأنه يسعى إلى ملء فراغ في السعي إلى حل المشكلات التي تحاصر أعدادا كبيرة من الناس. وتلعب الممارسة الفلسفية دوراً مهماً في كثير من مجالات الحياة العلمية وغير العلمية (الضمنية) بالرغم من أنها لا تحظى في الوقت نفسه بشعبية واسعة في العالم. حيث ينظر إلى هذا الإرشاد على أنه علاج للعاقل، وممارسته في أماكن غير رسمية يعد هروباً من المراقب أو الناقد.

ويرى المدافعون عن هذا التوجه كلما كانت عملية الإرشاد حكيمة، حتى على كوب من الشاي من أجل حل أي مسألة حياة أو مشكلة، وتوضيح الآراء والأفكار، فإن الإرشاد الفلسفي يأخذ مكانه هناك. ويرى هوفمان (Hoffman,2002) أنه لا بد من الاعتراف بأن الإرشاد الفلسفي هو شكل من أشكال تقديم المشورة الفلسفية، وذلك لوجود عناصر مشتركة مع العديد من أنواع أخرى من خدمات الإرشاد النفسي، وذلك لما له من قيمة وتقدير في نتائجه العملية التي توصلت إليها العديد من الأبحاث في هذا المجال، ونعتقد أن العقود القادمة سوف تجعل الإرشاد الفلسفي أكثر إسهاماً في التدريب والممارسة بطرق مهمة على نحو متزايد، وأن الكثير من الفلاسفة سوف يدخلون هذا المجال الذي من شأنه إكسابهم الحكمة والمصادر الفلسفية العملية الأخرى التي تساعد في القيام بعملهم خير قيام.

كما أننا لا نتوقع أن نرى تقبل كثير من المجتمعات لهذا الشكل من الخدمات لاعتقادهم بعدم فائدته على المدى القريب في حل مشكلاتهم الشخصية والنفسية، فهم يؤمنون غالباً بالملمسوس (أدوية طبية) أكثر من غير الملمسوس. علاوة على ذلك، فالإرشاد الفلسفي، رغم ذلك انطلق في الدول الغربية بقوة لتأكيد ذاته كمجال ضمن مجالات الخدمات النفسية المتنوعة، حاملاً معه أدوار التحول الإصغائي والنقد الذاتي والتأمل لحل القضايا التي تساعد المستنصح على الفهم واتخاذ القرارات لحل المآزق الحياتي الذي يعاني منه. لذلك يمكن القول: إن ثمة نقاطاً مشتركة بين الإرشاد الفلسفي والإرشاد النفسي، ولا يمكن أن يكونا في حالة صراع بل هما في حالة من الانسجام والتكامل والتعاون، ولا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر، على اعتبار أن جميع النظريات الإرشادية انبثقت من الأفكار الفلسفية، وأن الفكر الفلسفي

العملي لا يمكنه الاستغناء عن النهج الجاليلي القائم على الفكر والعمل التجريبي، لأن العلم ليس بتسجيل الوقائع، ولا هو بمعامل ارتباط بين الظواهر، فالوقائع ذاتها والأرقام بذاتها بلهاء، والوصف الرقمي كالوصف اللفظي يمهّد للعلم ولكن لا يدخل في العملية العلمية، فالعلم هو تفكير الوقائع. لذلك، لا بد من إعادة النظر والتدقيق في تلك التأملات الفلسفية التي تعالج القضايا الجدلية للإنسان المعاصر (القطان، 1983، 7). ونأمل أن يطرق هذا النهج أبواب مجتمعاتنا العربية لترى مدى الخدمات التي يمكن أن يسهم فيها لتحسين واقع الصحة النفسية لدى البشر الذين يعانون من أزمات ومآزق وجودية تعكّر صفو حياتهم.



قائمة المراجع

- الحسن، تفروت. (2012). الفلسفة باعتبارها علاجاً، موقع الأوان من أجل ثقافة عقلانية تنويرية.
- العاسمي، رياض. (2015). العلاج النفسي، دمشق، منشورات جامعة دمشق.
- القطان، سامية. (1983). تقوم بالدراسة الإكلينيكية، الجزء الأول: القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- النشار، مصطفى. (2010). العلاج بالفلسفة. القاهرة: الدار المصرية السعودية.
- Achenbach, G. B. (1984). Philosophische praxis. Cologne: Juergen Dinter .
- Al-ShawiHakam. (2004).The Role of Philosophical Courage in Philosophical Counseling International Journal of Philosophical Practice. 2, (3), PP;1-16.
- American Philosophical Practitioners Association. (2012). Code of Ethics. Retrieved from <http://appa.edu/code.htm>
- American Philosophical Practitioners Association. (2015b). FAQ About Philosophical Counseling. Retrieved from<http://appa.edu/faqcounsel.htm>
- Amir, L. B. (1995). An earlier draft of the paper has been read at the first international congress of Philosophical Practice and Counseling, in Vancouver, Canada.
- Amir, L. B. (2003). Philosophical Practice: A Method and Three Cases, in Practical Philosophy: The Journal of Consultant Philosophers, 6 (1), pp. 36-41.
- Amir, L. B. (2004).Amir, L. B. (2004). The Affective Aspect of Wisdom: Some Conceptions of the 27 Love of Humanity and their Use in Philosophical Practice, in Practical Philosophy: The Journal of Consultant Philosophers, Spring (forthcoming).
- Amir, B.(2012). Humor in Philosophy: Theory and Practice. Philosophical Practice, 7.(3),pp. 1015-29.
- Brown S.(2011).The therapeutic status of philosophical counseling,Practical Philosophy, 10:21, (web edition.2011.
- Cohen. E.D. (1995).Essays in philosophical counselling. Lanham, MD: University Press of America. wpcehd 9 (3).
- Cohen, D. E. (2003). Philosophical principles of logic-based therapy. Practical Philosophy, 27-35.

- Cohen, D. E. (2005). *Philosophers at work. Issues and practice of philosophy.* Wadsworth: CengageLearning.
- Cohen, Elliot D. (2011). "Logic-Based Therapy: The New Philosophical Frontier for REBT". Retrieved 9 September.
- Cohen, D. E.. (2013). *Critical thinking unleashed.* Lanham: Rowman and Littlefield publishers.
- Cohen, D. E. (2014). *The new rational therapy.* Lanham: Rowman and Littlefield publishers.
- Dirk Engelmann. (2009). A Shock Therapy Against the "Endowment Effect", Discussion , 09-04, University of Copenhagen. Department of Economics. Master of clinical psychology.
- Ellenbogen, S. (2006). Wittgenstein and philosophical counselling. In J.BarrientosRastrojo(Ed.), *Philosophers as philosophical practitioners (vol. II)* (pp.103-110). Seville: X-XI Association.
- Frankl, V. (1974). *The doctor and the soul. From psychotherapy to logotherapy.* New York: Random House.
- Haynes, R., Corey, G., & Moulton, P. (1980). *Clinical supervision in the helping professions.* Pacific Grove,CA: Brooks/Cole.
- Hoffman, Eric.(2002).The Future of "Philosophical Counseling": A Modest Vision,American Society for Philosophy, Counseling and Psychotherapy at the Eastern Division Meeting of the American Philosophical Association in December.
- Gowans, C.W. (2010) Medical analogies in Buddhist and Hellenistic thought: Tranquillity and anger. *Philosophy as therapeia.* Supplement of the Journal of the Royal Institute of Philosophy ,66, 11-33.
- Gutknecht, T. (2006). Toward philosophy of the practice of philosophy. An invitation to philosophical dialogue among practitioners of philosophy about the nature of their work. In J.Barrientos Rastrojo (Ed.), *Philosophical practice: From theory to practice* (pp. 89-91). Seville: X-XI Association
- Knapp, S., & Tjeltveit, A.C. (2005). A review and critical analysis of philosophical counseling. *Professional Psychology: Research and Practice*, 36(5), 558-565.

- Lahav, R. (1995). A conceptual framework for philosophical counseling: Worldview interpretation. In R. Lahav & M.d.V. Tillmans (Eds.), *Essays on philosophical counseling* (pp. 3-24). New York: University Press of America.
- Lahav, R. (2001). Philosophical Counselling as a Quest For Wisdom. *J. of Practical Philosophy*, 4:1, 6-18).
- Lahav, R. (2005). Contemplative Philo-Sophia. Available online: <http://www.trans-sophia.net/115845/What-is-contemplative-philosophy>.
<http://www.practical-philosophy.org.uk.contemplative-philosophy>.
- Long A.A. and Sedley, D.N. (1987) *The Hellenistic philosophers*, Vol. 1. Cambridge: Cambridge University Press.
- Marinoff, L. (1999). The New Philosophical Counseling. Interview with Lou Marinoff by Merle Hoffman. In *On the Issues Magazine. A Magazine for Critical, Independent Thinking* (Winter 1999). Available online: <http://www.ontheissuesmagazine.com/1999winter/w99hoffman.php>.
- Marinoff, L. (2002). *Philosophical Practice*. San Diego, New York, Boston, Sydney, Tokyo, Toronto: Academic Press.
- Marinoff, L. (2003) *The Big Questions: How Philosophy Can Change Your Life?* (New York: Bloomsbury).
- Maritain, J. (1948). *Education at the crossroads*. Glencoe: Free Press.
- Norcross, J. C., & Goldfried, M. R. (2003). *Handbook of psychotherapy integration*. New York: Oxford University Press.
- Nneji, B.U. (2013). Philosophical counselling/therapy: Praxis and pedagogy. *Working Papers on Culture, Education and Human Development*, 9 (3), 1-9
http://www.uam.es/otros/ptcedh/2013v9_pdf/v9n3eng.pdf.
- Nussbaum, M. C. (1994). *The Therapy of Desire: Theory and Practice in Hellenistic Ethics*, (Princeton: Princeton University Press).
- Popescu A. Beatrice. (2015). Moral Dilemmas and Existential Issues Encountered Both in Psychotherapy and Philosophical Counseling Practices ,*Europe's Journal of Psychology*, 11(3), pp. 509-521.

- Prins-Bakker, A. (1995). "Philosophy in Marriage Counseling", in R. Lahav and M. Tillmanns (eds.) *Essays on Philosophical Counseling* (Lanham, Md.: University Press of America), pp. 135-151.
- Raabe, P. B. (2000). How Philosophy Can Help You Feel Better: Philosophical Counseling and the Emotions, in *The International Journal of Applied Philosophy*, 14(1), pp. 8-13. 31.
- Raabe, Peter B.(2001). *Philosophical Counseling: Theory and Practice*. Connecticut and London: Praeger.
- Raabe, P. B. (2002). *Issues in Philosophical Counseling*, (Wesport, CT. Praeger), *Psychotherapy in Australia*. 8 (3)pp ;1-7.
- Raabe, P. B., (2003) "The Relationship between Philosophical Counseling and Psychotherapy", in *Pratische Filosofiche/Philosophy Practice*, 2.
- Rosner, D.J. (2004). Philosophy as therapy. In H. Carel and D. Gamez (eds.), *What philosophy is* (pp. 213-225). London: Continuum.
- Samuel, Zinaich. (2013). *Moral Revolution: from Natural Law to Moral Relativism*. Lanham, MD: University Press of America, Inc: *A Journal of Political Philosophy* 34, no. 3: 73-83.
- Schuster, S.C. (1991). Philosophical counseling. *Journal of Applied Philosophy*, 8 (2), 219-223.
- Schuster, S.C. (2005). Philosophical counseling and the I and Thou: A philosophical autobiographical narrative. In J.Barrientos Rastrojo (Ed.), *Philosophers as philosophical practitioners* (vol. II) (pp.91-99). Seville: X-XI Association.
- Taylor, K.; Marienau, C. & Fiddler, M. (2002). *Developing adult learners: Strategies for teachers and trainers*. San Francisco: Jossey-Bass .
- Walsh, R.D. (2005). Philosophical counselling practice. *Janus Head*, 8 (2), 497-508.